كتاب
التحرير
الطبقات الكبرى
محمد بن سعد
كاتب الواقدي
الجزء الثالث
١٢
أول تاريخ قومى للعرب

مُخَلَّد بن عامر بن زريق . وشهد خلّاد بدرا وأُحُدًا وكان له عقب كثير فانقرضوا فلم يبق منهم أحد .

عبيد بن زيد

ابن عامر بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق . شهد بدرًا وأُحُدًا وتُوفّى وليس له عقب . وقد انقرض أيضاً ولد عمرو بن عامر بن زريق إلا ولد رافع بن مالك فقد بقى منهم قوم كثير . وبقى من ولد النعمان ابن عامر واحدٌ أو اثنان . ستّة عشر رجلًا .

ومن بنى بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك ابن غضب بن جشم بن الخزرج

زياد بن لبيد

ابن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدىّ بن أُميّة بن بياضة ، ويكنى أبا عبد الله ، وأمّه عمرة بنت عبيد بن مطروف بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد من بنى عمرو بن عوف من الأوس . وكان لزياد بن لبيد من الولد عبد الله وله عقب بالمدينة وبغداد . وشهد زياد العَقَبَة مع السبعين من الأنصار فى روايتهم جميعًا . وكان زياد لما أسلم يكسر أصنام بنى بياضة هو وفَرْوة بن عمرو . وخرج زياد إلى رسول الله ، صلّعم ، بمكة فأقام معه حتى هاجر رسول الله ، صلّعم ، إلى المدينة فهاجر معه ، فكان يقال زياد مهاجرى أنصارىّ . وشهد زياد بدرًا وأُحُدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ، صلّعم . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنى محمد بن صالح بن دينار عن موسى بن عمران بن مَنّاح قال : تُوفّى رسول الله ، صلّعم ، وعامله على حضرموت زياد بن لبيد ، وولى قتالَ أهل الردّة باليمن حين ارتدّ أهل النُّجير مع الأشعث بن قيس حتى ظفر بهم ، فقتل منهم من قتل وأسر من أسر وبعث بالأشعث بن قيس إلى أبى بكر فى وِثاق .

خليفة بن عدى

ابن عمرو بن مالك بن عامر بن فهيرة بن بياضة ، هكذا نسبه أبو

معشر ومحمد بن عمر ، وأمّا موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق فقالا : خليفة بن عدىّ ولم يرفعا فى نسبه ، فكان لخليفة من الولد بنت يقال لها آمنة تزوجها فروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة . وشهد خليفة بدرًا وأُحُدًا وتوفى وليس له عقب .

فروة بن عمرو

ابن وَذَفَة بن عبيد بن عامر بن بياضة ، وأُمّه رحيمة بنت نابئ بن زيد بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة . وكان لفروة من الولد عبد الرحمن وأُمّه حبيبة بنت مُليل بن وَبَرَة بن خالد بن العَجْلان ابن زيد بن غَنْم بن سالم بن عوف ، وعبيد وكبشة وأُمّ شرحبيل وأُمّهم أُمّ ولد ، وأُمّ سعد وأُمّها آمنة بنت خليفة بن عدىّ بن عمرو بن مالك ابن عامر بن فهيرة بن بياضة ، وخالدة وأُمّها أُمّ ولد ، وآمنة وأُمّها أُمّ ولد . وشهد فروة بن عمرو العَقَبَة مع السبعين من الأنصار فى روايتهم جميعًا . وآخى رسول الله ، صلّعم ، بينه وبين عبد الله بن مَخْرَمَة بن عبد العُزّى ابن أبى قيس من بنى عامر بن لؤى . وشهد فروة بدرًا وأُحُدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ، صلّعم . واستعمله رسول الله ، صلّعم ، على المغانم يوم خيبر ، وكان يبعثه خارصاً بالمدينة . وكان لفروة عقب وأولاد وانقرضوا فلم يبق منهم أحد .

خالد بن قيس

ابن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بياضة ، وأُمّه سَلْمى بنت حارثة ابن الحارث بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب ابن جُشَم بن الخزرج . وكان لخالد بن قيس من الولد عبد الرحمن وأُمّه أُمّ الربيع بنت عمرو بن وَذَفَة بن عبيد بن عامر بن بياضة . وشهد خالد بن قيس العَقَبَة مع السبعين من الأنصار فى رواية محمد بن إسحاق ومحمد بن عمر ، ولم يذكره موسى بن عقبة وأبو معشر فيمن شهد عندهما العَقَبَة . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنى إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة عن داود بن الحصين ، أنّ خالد بن قيس لم

يشهد العَقَبَة . وقالوا جميعا : وشهد خالد بن قيس بدرًا وأُحُدًا وكان له عقب وانقرضوا .

ورُخيلة بن ثعلبة

ابن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة . شهد بدرًا وأُحُدًا وتُوفى وليس له عقب .

خمسة نفر .

ومن بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك ابن غضب بن جشم بن الخزرج

رافع بن المعلى

ابن لَوْذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عدىّ بن مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة ، وأُمّه إدام بنت عوف بن مبذول ابن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجّار . وآخى رسول الله ، صلّم ، بينه وبين صَفْوان بن بَيْضَاء ، وشهدا جميعًا بدرًا وقُتِلا يومئذ فى بعض الرواية . وقد رُوى أنّ صفوان لم يُقتَل يومئذ ، وأنّه بقى بعد رسول الله ، صلّم . وكان الذى قتلَ رافعَ بن المعلّى عكرمة بن أبى جهل ؛ أجمع موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وأبو معشر ومحمد بن عمر وعبد الله بن محمد بن عمارة الأنصارى على أنّ رافع بن المعلّى شهد بدرًا وقتل يومئذ شهيدًا وليس له عقب .

وأخوه

هلال بن المعلى

ابن لَوْذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عدىّ بن مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة ، ويكنى أبا قيس ، وأُمّه إدام بنت عوف ابن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجّار ؛ أجمع موسى بن عقبة وأبو معشر ومحمد بن عمر وعبد الله بن محمد بن عمارة الأنصارىّ على أنّ هلال بن المعلى قد شهد بدرًا ، ولم يذكره محمد بن إسحاق فيمن شهد عنده بدرًا . قال محمد بن عمر : قُتِل يوم بدر شهيدًا وله عقب .

وقال عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصارى : المقتول ببدر رافع بن المعلى لا شك فيه ، ولم يقتل هلال يومئذ ، وقد شهد أُحداً مع أخيه عُبيد بن المعَلَّى ، ولم يشهد عُبيد بدرًا . ولهلال عقب بالمدينة وبغداد ، وقد انقرض ولد حبيب بن عبد حارثة كلُّهم إلا ولد هلال بن المعَلَّى .

فجميع من شهد بدرًا مع رسول الله ، صلّعم ، من الخزرج فى عدد محمد بن عمر مائة وخمسة وسبعون إنساناً ، وفى عدد محمد بن إسحاق مائة وسبعون إنساناً . وجميع من شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار ومن ضرب له رسول الله ، صلّعم ، بسهمه وأجره ، فى عدد محمد بن إسحاق ، ثلاثمائة وأربعة عشر رجلًا : من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلًا ، ومنهم من الأوس أحد وستُّون رجلًا ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلًا . وفى عدد أبى معشر ومحمد بن عمر من شهد بدرًا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلًا . قال محمد بن عمر : وقد سمعت من يروى أنهم ثلثمائة وأربعة عشر رجلًا . وفى عدد موسى بن عقبة ثلثمائة وستّة عشر رجلًا .

ذكر النقباء الأثنى عشر رجلا الذين اختارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار ليلة العقبة بمنى

أخبرنا عبد الله بن إدريس الأَوْدى قال : حدثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم قال : قال رسول الله ، صلّعم ، للنفر الذين لقوه بالعَقَبَة : أَخْرجوا إلَىَّ اثنى عشر منكم يكونوا كفلاء على قومهم كما كفلت الحواريُّون لعيسى بن مريم . فأخرجوا اثنى عشر رجلًا . وقال غير عبد الله بن إدريس فى غير هذا الحديث : ولا يجدَنَّ أحد منكم فى نفسه أن يؤخذ غيره فإنّما يختار لى جبريل . أخبرنا محمد بن حُميد العبدى عن معمر عن أيّوب عن عكرمة قال : لقى النبىَّ العامَ المُقْبِلَ سبعون رجلًا من الأنصار قد آمنوا به فأخذ منهم النقباء اثنى عشر رجلًا . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنى خارجة بن عبد الله وإبراهيم ابن إسماعيل بن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن محمود بن لبيد قال : قال رسول الله ، صلّعم ، للنقباء : أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريّين

لعيسى بن مريم وأنا كفيل قوى . قالوا : نعم . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنى معمر عن الزهرىّ ، عن أبى أُمامة بن سهل بن حُنيف قال : هم اثنا عشر نقيبا رأسهم أسعد بن زُرارة . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنى عبد الرحمن بن أبى الرِّجال عن رَيْطَة عن عمرة عن عائشة : أنّ رسول الله ، صلّعم ، نقّب أسعدَ بن زُرارة على النقباء .

تسمية النقباء وأنسابهم وصفاتهم ووفاتهم

أخبرنا عبد الله بن إدريس الأَوْدىّ قال : حدثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : وأخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنا معمر عن الزهرىّ ، قال محمد بن عمر : وأخبرنا محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : وأخبرنا محمد بن حُميد العبدىّ قال : حدثنا معمر بن راشد قال : سمّاهم لى رجل عالم بهم لا أُبالى ألا أسأل عنهم أحدًا بعده ، وهو حرام بن عثمان ، عن ابن جابر عن أبيه جابر ، وكلّهم قد حدّثنى بتسميتهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ، إلا أن رفع أنسابهم وأمّهاتهم وأولادهم عن محمد بن عمر الواقدىّ وعبد الله بن محمد بن عمارة الأنصارى ، قالوا جميعا : كان النقباء من الأوس ثلاثة نفر ، منهم من بنى عبد الأشهل رجلان وهما :

اسيد بن الحضير

ابن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، ويكنى أبا يحيى ، وكان يُكنى أيضاً أبا الحُضير ، وأُمّه فى رواية محمد بن عمر أمّ أُسيد بنت النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، وفى رواية عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصارىّ أُمّ أُسيد بنت سَكن بن كُرْز بن زعوراء بن عبد الأشهل . وكان لأُسيد من الولد يحيى وأُمّه من كندة ، تُوفى وليس له عقب . وكان أبوه حُضير الكتائب شريفا فى الجاهلية ، وكان رئيس الأوس يوم بُعاث ، وهى آخر وقعة كانت بين الأوس والخزرج فى الحروب التى كانت بينهم ، وقتل يومئذ حضير الكتائب ، وكانت هذه الوقعة ورسول الله ، صلّعم ، بمكّة قد تنبى ودعا إلى الإسلام ، ثمّ هاجر بعدها بستّ سنين إلى المدينة . ولحضير الكتائب يقول خُفاف بن نُدْبة السُّلَمىّ :

لَو أنَّ المنايا حِدْنَ عن ذى مَهَابة لَهِبْنَ حُضيراً يومَ غَلّقَ واقِمَا
يَطُوفُ به حتى إذا الليلُ جَنَّه تَبوَّأ منه مَقْعَداً مُتَناعِمَا

قال: وواقم أُطُمُ حضير الكتائب، وكان فى بنى عبد الأشهل. وكان أُسَيْد ابن الحُضير بعد أبيه شريفًا فى قومه فى الجاهليَّة، وفى الإسلام يُعَدُّ من عُقلائهم وذوى رأيهم، وكان يكتب بالعربيَّة فى الجاهليَّة، وكانت الكتابة فى العرب قليلًا، وكان يُحسن العوم والرمى، وكان يُسمَّى من كانت هذه الخصال فيه فى الجاهلية الكامل، وكانت قد اجتمعت فى أُسيد، وكان أبوه حُضير الكتائب يُعْرَفُ بذلك أيضاً ويُسَمَّى به. أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة عن واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال: كان إسلام أُسيد بن الحُضير وسعد بن معاذ على يَدَىْ مصعب بن عُمير العَبْدَرى فى يوم واحد، فَقَدَمَ أُسيد سعدًا فى الاسلام بساعة، وكان مصعب بن عمير قد قدم المدينة قبل السبعين أصحاب العَقَبَة الآخرة يدعو النَّاس إلى الإسلام ويعلِّمهم القرآن ويفقههم فى الدين بأمر رسول الله، صلّعم. وشهد أُسيد العقبة الآخرة مع السبعين من الأنصار فى روايتهم جميعًا، وكان أحد النقباء الاثنى عشر، فآخى رسول الله، صلّعم، بين أُسَيد بن الحُضير وزيد بن حارثة. ولم يشهد أُسيد بدرًا، وتخلَّف هو وغيره من أكابر أصحاب رسول الله، صلّعم، من النقباء وغيرهم عن بدر ولم يظنّوا أنَّ رسول الله، صلّعم، يلقى بها كَيْدًا ولا قتالًا، وإنَّما خرج رسول الله، صلّعم، ومن معه يتعرَّضون لعِير قريش حين رجعت من الشأم فبلغ أهلَ العِير ذلك فبعثوا إلى مكّة من يخبر قريشاً بخروج رسول الله، صلّعم، إليهم وساحلوا بالعير فأفلتت، وخرج نَفِير قريش من مكّة يمنعون عيرَهم فالتقوا هم ورسول الله، صلّعم، ومن معه على غير مَوْعِد ببدر. أخبرنا محمد ابن عمر قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة، عن عبد الله بن أبى سفيان مولى ابن أبى أحمد قال: لقى أُسيد بن الحُضير رسولَ الله، صلّعم، حين أقبل من بدر فقال: الحمد لله الذى أظفرك وأقرَّ عينك، والله يا رسول الله ما كان تَخَلُّفى عن بدر وأنا أظنُّ أنَّك تلقى عدوًّا، ولكن ظننت أنَّها العير، ولو ظننتُ أنّه عدوٌّ ما تخلَّفت، فقال رسول الله، صلّعم: صدقتَ. قال محمد بن عمر: وشهد أُسيد أُحُدًا وجُرح يومئذ سبع

جراحات ، وثبت مع رسول الله ، صلّعم ، حين انكشف الناس ، وشهد الخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ، صلّعم ، وكان من عِلْيَة أصحابه . حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أُويس قال : حدّثني سليمان بن بلال قال : وأخبرنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة المِنْقَرى قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْدى ، جميعًا عن سُهيل بن أبي صالح عن أبيه ، عن أبي هريرة عن النبيّ ، صلّعم ، قال : نِعْمَ الرجل أُسيد بن الحضير . أخبرنا يزيد بن هارون وعفّان بن مسلم وسليمان بن حرب قالوا : أخبرنا حمّاد بن سلمة عن ثابت البُناني عن ابن مالك قال : كان أُسيد بن الحضير وعبّاد بن بِشر عند رسول الله ، صلّعم ، في ليلة ظلماء حِنْدِس ، فتحدّثا عنده حتى إذا خرجا أضاءتْ لهما عَصَا أحدِهما فمشيا في ضوئها ، فلمّا تفرّق لهما الطريقُ أضاءت لكلّ واحد منهما عَصَاه فمشى في ضوئها . أخبرنا الفضل بن دُكين عن سفيان بن عُيينة عن هشام بن عروة عن أبيه ، وأخبرنى عبد الله بن مسلمة بن قَعْنَب الحارثيّ وخالد بن مُخَلَّد قالا : حدثنا سُليمان بن بلال ، عن يحيَى بن سعيد ، عن بُشير بن يسار : أنّ أُسيد بن الحُضير كان يَؤمُّ قومه فاشتكى فصلّى بهم قاعدًا ، قال سليمان بن بلال في حديثه : فصلّوا وراءه قعودًا . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن أصحابهم ، قال محمد بن عمر : وأخبرنا محمد بن صالح وزكريّاء بن زيد عن عبد الله بن أبي سفيان ، عن محمود بن لبيد قال : تُوفى أُسيد بن الحُضير في شعبان سنة عشرين ، فحمله عمر بن الخطّاب بين العمودين من بنى عبد الأشهل حتى وضعه بالبقيع وصلّى عليه بالبقيع . أخبرنا خالد بن مخلّد البَجَلى قال : حدثنا عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : هلك أُسيد بن الحضير وترك عليه أربعةَ آلاف درهم دَيْنًا ، وكان مالُه يُغِلّ كلّ عام ألفًا فأرادوا بَيْعَهُ ، فبلغ ذلك عمر بن الخطّاب فبعث إلى غرمائه فقال : هل لكم أن تقبضوا كلّ عام ألفًا فتستوفونه في أربع سنين ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين . فأخّروا ذلك فكانوا يقبضون كلّ عام ألفًا . أخبرنا معن بن عيسى قال : حدثنا مالك ابن أنس عن يزيد بن قسيط عن محمود بن لبيد : أنّ أُسيد بن الحُضير هلك وترك دَيْنًا ، فكلّم عمرُ غرماءه أن يُؤخّروه .

أبو الهيثم بن التيهان

واسمه مالك وهو من بلى حليف لبنى عبد الأشهل ، وأمه أم مالك بنت مالك من بلىّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وهو أحد النقباء الاثنى عشر من الأنصار ، وشهد العَقَبَتَين جميعًا وبدرًا وأحُدًا والمشاهد كلَّها مع رسول الله ، صلعم . وقد كتبنا جميع أمره فيمن شهد بدرا من بنى عبد الأشهل .

ومن بنى غنم بن السلم بن امرىء القيس ابن مالك بن الأوس رجل وهو

سعد بن خيثمة

ابن الحارث بن مالك بن كعب بن النحّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلْم ، ويكنى أبا عبد الله ، وأمه هند بنت أوس بن عدىّ بن أميّة بن عامر بن خَطْمة بن جُشَم بن مالك بن الأوس ، وهو أحد النقباء الاثنى عشر من الأنصار ، وشهد العَقَبَة الآخرة وبدرًا ، وقُتِل يومئذ . وقد كتبنا جميع أمره فيمن شهد بدرًا من بنى غَنْم بن السَّلْم .

ومن الخزرج تسعة نفر منهم من بنى النجار رجل

أسعد بن زرارة

ابن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار ، ويكنى أبا أمامة ، وأمه سُعاد — ويقال الفريعة — بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن الأبجر ، وهو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، وهو ابن خالة سعد ابن معاذ . وكان لأسعد بن زُرارة من الولد حبيبة مبايعة وكبشة مبايعة والفريعة مُبايعة وأمهنّ عُميرة بنت سهل بن ثعلبة بن الحارث بن زيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار . ولم يكن لأسعد بن زُرارة ذكَر وليس له عقب إلا ولادات بناته هؤلاء ، والعقب لأخيه سعد بن زرارة .

أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن خبيب بن

عبد الرحمن بن خبيب بن يساف قال: خرج أسعد بن زُرارة وذَكْوان ابن عبد قيس إلى مكّة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة فسمعا برسول الله، صلّعم، فأتياه فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن فأسلما، ولم يقربا عتبة ابن ربيعة ورجعا إلى المدينة، فكانا أوّل مَن قدم بالإسلام المدينة. أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن عن عُمارة بن غَزِيّة قال: أسعد بن زُرارة أوّل من أسلم، ثمّ لقيه الستّة النفر هو سادسهم، فكانت أول سنة، والثانيةَ لقيه بالعَقَبة الاثنا عشر رجلاً من الأنصار فبايعوه، والسنةَ الثالثةَ لَقِيَه السبعون من الأنصار فبايعوه ليلة العَقَبة وأخذ منهم النقباء الاثنى عشرَ، فكان أسعد بن زُرارة أحد النقباء. قال محمد ابن عمر: ويُجْعَل أيضاً أسعد بن زُرارة في الثّمانية النفر الذين يرون أنّهم أوّل من لقي النبيّ، صلّعم (يعني من الأنصار) وأسلموا. وأمر الستّة أثبت الأقاويل عندنا إنّهم أوّل من لقي النبيّ، صلّعم، من الأنصار فأسلموا ولم يُسلم قبلهم أحد. أخبرنا عفّان بن مسلم قال: حدثنا حمّاد بن سلمة قال: أخبرنا عليّ بن زيد عن عُبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت: أنّ أسعد بن زُرارة، رحمه الله، أخذ بيد رسول الله، صلّعم (يعني ليلةَ العَقَبَة) فقال: يا أيّها الناس هل تدرون على ما تُبايعون محمداً؟ إنّكم تُبايعونه على أن تحاربوا العربَ والعجم والجنّ والإنسَ مُجْلِبَةً. فقالوا: نحنُ حَرْبٌ لمن حارب وسِلْمٌ لمن سالم، فقال أسعدُ بن زُرارة: يارسول الله اشترطْ عليَّ، فقال رسول الله، صلّعم: تبايعوني على أن تشهدوا ألّا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، وتقيموا الصّلاة وتؤتوا الزكاة والسمع والطاعة، ولا تنازعوا الأمرَ أهلَهُ، وتمنعوني ممّا تمنعون منه أنفسكم وأهليكم. قالوا: نعم. قال قائل الأنصار: نَعَمْ هذا لك يارسول الله، فما لنا؟ قال: الجنّة والنصر. أخبرنا محمد بن عمر قال: حدّثني معاذ بن محمد عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة قال: سمعتُ أمّ سعد بنت سعد بن الربيع، وهي أمّ خارجة ابن زيد بن ثابت، تقول: أخبرتني النّوار أمّ زيد بن ثابت أنّها رأت أسعد بن زُرارة قبل أنْ يقدم رسول الله، صلّعم، المدينة يصلّي بالناس الصلوات الخمس، ويجمع بهم في مسجد بناه في مِرْبَد سهل وسُهيل ابني رافع بن أبي عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار، قالت:

فأنظر إلى رسول الله ، صلّعم ، لمـا قـدم صلّى فى ذلك المسجد وبنـاه فهـو مسجده اليوم . قال محمد بن عمر : إنّما كان مُصعب بن عُمير يصلّى بهم فى ذلك المسجد ويجمّع بهم الجمعات بأمر رسول الله ، صلّعم ، فلمّا خرج إلى النبىّ ، صلّعم ، ليهاجر معه صلّى بهم أسعد بن زُرارة . وكان أسعد بن زُرارة وعمارة بن حزم وعوف بن عفراء لما أسلموا يكسرون أصنام بنى مالك بن النجّار . أخبرنا عبيد الله بن موسى قال : أخبرنا إسرائيل عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة قال : أخذتْ أسعدَ بن زُرارة الذُّبَحَةُ فأتاه رسول الله ، صلّعم ، فقال : اكْتَوِ فإنى لا ألومُ نفسى عليك . أخبرنا الفضل بن دُكين قال : حدثنا زُهير عن أبى الزبير عن عمرو بن شعيب عن بعض أصحاب النبىّ ، صلّعم ، قال : كوى رسول الله صلّعم ، أسعدَ بن زرارة مرّتين فى حَلْقِه من الذُّبَحَةِ وقال : لا أدَعُ فى نفسى منه حَرَجًا . أخبرنا محمد ابن عمر ، عن ربيعة بن عثمان عن أبى الزبير ، عن جابر قال : كانت بأسعد الذُّبَحَة فكواه رسول الله ، صلّعم . أخبرنا الفضل بن دُكين قال : حدثنا سفيان عن أبى الزبير عن جابر قال : كواه رسول الله ، صلّعم ، مرّتين فى أَكْحَلِهِ . أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهرىّ عن أبيه عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن أبى أمامة بن سهل بن حُنيف : أنّه أخبره أنّ رسول الله ، صلّعم ، عاد أسعد بن زرارة وبه الشَّوْكَة ، فلمّا دخل عليه قال : قاتل الله يهودَ يقولون لولا دَفَعَ عنه ، ولا أملِك له ولا لنفسى شيئًا لا يلوموننى فى أبى أُمامة . ثمّ أمر به فكُوِىَ وحجّر به حَلْقَه ، يعنى بالكَىّ . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن يحيَى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال : أوصى أبو أُمامة ، رضى الله عنه ، ببناته إلى رسول الله ، صلّعم ، وكُنّ ثلاثًا ، فكنّ فى عيال رسول الله ، صلّعم ، يَدُرْنَ معه فى بيوت نسائه ، وهُنّ كبشة وحبيبة والفارعة ، وهى الفُريعة ، بنات أسعد . أخبرنا عبد الله بن إدريس قال : أخبرنى محمد بن عُمارة عن زينب بنت نُبيط بن جابر امرأة أنس بن مالك قالت : أوصى أبو أمامة — قال عبد الله بن إدريس : وهو أسعد بن زرارة — بأُمّى وخالتى إلى رسول الله ، صلّعم ، فقدم عليه حَلْىٌ فيه ذهب ولُؤْلؤٌ يقال له الرِّعاث فحلّاهُنّ رسول الله ، صلّعم ، من تلك الرِّعاث ، قالت

فأدركتُ بعضَ ذلك الحَلْى عند أهلى . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنى معمر بن راشد عن الزهرىّ عن أبى أُمامة بن سهل بن حُنيف ـ وهو ابن بنت أسعد بن زرارة ـ قال : إنّ رسول الله ، صلّعم ، عاد أبا أُمامة أسعد بن زُرارة بن عُدَس ، وكان رأس النقباء ليلةَ العَقَبَةَ فأَخَذَتْه الشَّوْكَة ، فجاءه رسول الله ، صلّعم ، يعوده فقال : بئس الميّت هذا ! اليهود يقولون لولا دَفَعَ عنه ، لا أملك لك ولا لنفسى شيئًا ، لا يلومُنّ فى أبى أُمامة . وأمر به رسول الله ، صلّعم ، فكوى من الشَّوْكَة ، طوّق عنقه بالكىّ طَوْقًا . قال : فلم يلبث أبو أُمامة إلّا يسيرًا حتى توفى . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبى الرِّجال قال : مات أسعد بن زُرارة فى شوال على رأس تسعة أشهر من الهجرة ، ومسجد رسول الله ، صلّعم ، يومئذٍ يُبْنى ، وذلك قبل بدر ، فجاءت بنو النجّار إلى رسول الله ، صلّعم ، فقالوا : قد مات نقيبنا فَنَقِّبْ علينا فقال رسول الله ، صلّعم : أنا نقيبكم . أخبرنا محمد بن عمر عن إبراهيم ابن محمد بن عبد الرحمن ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن عن أهله قالوا : لمّا تُوفى أسعد بن زُرارة حضر رسول الله ، صلّعم ، غسلَه وكفّنه فى ثلاثة أثواب منها برد ، وصلّى عليه ، ورُئى رسول الله ، صلّعم ، يمشى أمام الجنازة ، ودفنه بالبقيع . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنا عبد الجبّار ابن عُمارة عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : أوّل من دُفن بالبقيع أسعد بن زُرارة . قال محمد بن عمر : هذا قول الأنصار ، والمهاجرون يقولون : أوّل من دُفن بالبقيع عثمان بن مظعون .

ومن بلحارث بن الخزرج رجلان

سعد بن الربيع

ابن عمرو بن أبى زُهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغرّ ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، وأمّه هُزيلة بنت عُتبة بن عمرو بن خُديج بن عامر بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج ، وهو أحد النقباء الاثنى عشر من الأنصار . وشهد بدرًا وأُحُدًا وقُتل يومئذٍ شهيدًا ، وقد كتبنا أمره فيمن شهد بدرًا من بنى الحارث بن الخزرج .

وعبد الله بن رواحة

ابن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغرّ ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، وأُمّه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك الأغرّ ، وهو أحد النقباء الاثنى عشر من الأنصار ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والخندق والحُديبية وخيبر ، وقُتل يوم مُؤتة شهيدًا وهو أحد الأُمراء يومئذ . وقد كتبنا أمره فيمن شهد بدرًا من بنى الحارث بن الخزرج .

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان

سعد بن عبادة

ابن دُليم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طَريف بن الخزرج ابن ساعدة ، ويكنى أبا ثابت ، وأُمّه عمرة — وهى الثالثة — بنت مسعود بن قيس ابن عمرو بن زيد مناة بن عدىّ بن عمرو بن مالك بن النجّار بن الخزرج ، وهو ابن خالة سعد بن زيد الأشهلى من أهل بدر . وكان لسعد ابن عبادة من الولد سعيد ومحمد وعبد الرحمن وأُمّهم غَزيّة بنت سعد ابن خليفة بن الأشرف بن أبى حَزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ابن ساعدة ، وقيس وأمامة وسَدوس وأُمّهم فُكيهة بنت عبيد بن دُليم بن حارثة بن أبى حَزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة . وكان سعد فى الجاهلية يكتب بالعربية ، وكانت الكتابة فى العرب قليلًا ، وكان يُحْسِنُ العوم والرمى ، وكان مَنْ أحسن ذلك سُمّى الكامل . وكان سعد بن عبادة وعدّة آباء له قبله فى الجاهليّة يُنادى على أُطُمهم : من أَحَبّ الشَّحْمَ واللَّحْمَ فليأْتِ أُطُمَ دُلَيم بن حارثة . أخبرنا أبو أسامة حمّاد ابن أسامة قال : حدثنا هشام بن عُروة عن أبيه قال : أدركتُ سعدَ بن عُبادة وهو يُنادى على أُطُمه : من أَحَبَّ شَحْمًا أو لحمًا فليأْتِ سعد بن عُبادة . ثمّ أدركتُ ابنَه مثل ذلك يدعو به ، ولقد كنتُ أمشى فى طريق المدينة وأنا شابٌّ فمرّ علىَّ عبد الله بن عمر منطلقًا إلى أرضه بالعالية فقال : يا فتى تعالَ انظر هل ترى على أُطم سعد بن عبادة أحدًا ينادى ؟ فنظرتُ

فقلتُ لا ، فقال صدقتَ . أخبرنا أبو أسامة قال : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه أنّ سعد بن عبادة كان يدعو : اللهمّ هب لى حَمْدًا وهَبْ لى مَجْدًا ، لا مجدَ إلّا بفعالٍ ولا فعال إلّا بمالٍ ، اللهمّ لا يُصْلحنى القليلُ ولا أَصْلُحُ عليه . قال محمد بن عمر : وكان سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دُجانة لما أسلموا يكسرون أصنام بنى ساعدة . وشهد سعد العَقَبَةَ مع السبعين من الأنصار فى روايتهم جميعًا ، وكان أحد النقباء الاثنى عشر فكان سيّدًا جوادًا ولم يشهد بدرًا ، وكان يتهيّأُ للخروج إلى بدر ويأتى دُورَ الأنصار يحضّهم على الخروج فنهش قبل أن يخرج فأقام ، فقال رسول الله ، صلّعم : لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصاً . وروى بعضهم أنّ رسول الله ، صلّعم ، ضرب له بسهمه وأجره ، وليس ذلك بمُجْمَع عليه ولا ثبت ، ولم يذكرْه أحدٌ ممّن يروى المغازى فى تسمية من شهد بدرًا ، ولكنّه قد شهد أُحُدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ، صلّعم . وكان سعد لما قدم رسول الله ، صلّعم ، يبعث إليه فى كلّ يومٍ جَفْنَةً فيها ثريد بلحم أو ثريد بلَبَن أو ثريد بخَلّ وزيت أو بسمن ، وأكثر ذلك اللحمُ ، فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله ، صلّعم ، فى بيوت أزواجه ، وكانت أُمّه عمرة بنت مسعود من المبايعات فتوفيت بالمدينة ورسول الله ، صلّعم ، غائب فى غزوة دُومة الجندل ، وكانت فى شهر ربيع الأوّل سنة خمس من الهجرة ، وكان سعد بن عبادة معه فى تلك الغزوة ، فلما قدم رسول الله ، صلّعم ، المدينة أتى قبرَها فصلّى عليها . أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ قال : حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب : أنّ أمّ سعد بن عبادة ماتت والنبيّ ، عليه السلام ، غائب فقال له سعد : إنّ أمّ سعد ماتت وإنى أُحبّ أن تصلّى عليها . فصلّى عليها وقد أتى لها شهرٌ . أخبرنا رَوْح بن عبادة قال : حدثنا محمد بن أبى حفصة قال : حدثنا ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : استفتى سعد بن عبادة رسولَ الله ، صلّعم ، فى نَذْرٍ كان على أُمّه فتوفيت قبل أن تقضيه ، فقال رسول الله ، صلّعم : اقضه عنها . أخبرنا رَوْح بن عُبادة ، حدثنا ابن جُريج قال : أخبرنى يَعْلى أنّه سمع عكرمة مولى ابن عباس يقول : أنبأنا ابنُ عباس أنّ سعد بن عبادة ماتت أُمّه وهو غائب عنها ، فأتى رسولَ الله ، صلّعم ، فقال : يارسول الله

إنّ أُمّى توفيت وأنا غائب عنها أفَيَنْفَعُهَا إن تصدّقْتُ عنها ؟ قال : نعم ، قال : فإنّى أُشْهِدُكَ أنّ حائطى المِخْراف صدقة عنها . أخبرنا عمرو بن عاصم الكِلابى قال : حدثنا همّام عن قتادة عن سعيد بن المسيّب : أنّ سعدًا أتى النبىّ ، صلّعم ، فقال : إنّ أُمّ سعد ماتت ولم تُوصِ ، فهل ينفعها أن أصدّق عنها ؟ قال : نعم ، قال : فأىّ الصدقةِ أحبُّ إليك ، أو قال : أعجب إليك ؟ قال : اسْقِ الماء . أخبرنا هشام أبو الوليد قال : حدثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيّب أنّ أُمّ سعد ماتت ، فسأل النبىَّ ، عليه السلام : أىّ الصدقة أفضل؟ قال : اسْقِ الماء . أخبرنا عمرو بن عاصم قال : حدثنا سُويد أبو حاتم صاحب الطعام قال : سمعتُ الحسن ، وسأله رجل : أَشْرَبُ من ماء هذه السقاية التى فى المسجد فإنها صدقة ؟ فقال الحسن : قد شرب أبو بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، من سقاية أُمّ سعد ، فَمَهْ . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنى معمر ومحمد بن عبد الله عن الزهرىّ عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عبّاس عن عمر بن الخطّاب : أنّ الأنصار حين توفّى الله نبيّه ، صلّعم ، اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة ومعهم سعد بن عبادة فتشاوروا فى البيعة له ، وبلغ الخبر أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، فخرجا حتى أتياهم ومعهما ناس من المهاجرين ، فجرى بينهم وبين الأنصار كلامٌ ومحاورة فى بَيْعَة سعد بن عبادة ، فقام خطيب الأنصار فقال : أنا جُذَيلها المحكّك وعُذَيْقُها المرجَّب ، منّا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش . فكثر اللَّغَط وارتفعت الأصوات فقال عمر : فقلتُ لأبى بكر ابْسُطْ يَدَكَ ، فبسط يده فبايعتُه وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار ، ونَزَوْنا على سعد بن عبادة ، وكان مُزَمَّلًا بين ظَهْرانَيْهم ، فقلت : ما له ؟ فقالوا : وَجِعٌ . قال قائل منهم : قتلتم سعدًا . فقلت : قتل الله سعدًا ، إنّا والله ما وجدنا فيما حَضَرَنا من أمرنا أقوى من مبايعة أبى بكر ، خشينا إن فارقْنا القومَ ولم تكن بَيْعَة أن يبايعوا بعدَنا ، فإمّا أن نُبايعَهم على مالا نرضى وإمّا أن نُخالفَهُم فيكون فسادًا . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنى محمد بن صالح عن الزبير بن المنذر بن أبى أسيد الساعدىّ : أنّ أبا بكر بعث إلى سعد بن عبادة أن أقبِلْ فبايِعْ فقد بايع الناس وبايع قومك ، فقال : لا والله لا أُبايع حتى أُراميكم بما فى كنانتى وأُقاتلكم بمن تبعنى من قومى وعشيرتى . فلمّا جاء الخبر إلى أبى بكر قال

بشير بن سعد : ياخليفة رسول الله ، إنّه قد أَبَى ولَجّ ، وليس بمبايعكم أو يُقْتَلَ ، ولن يُقْتَلَ حتى يُقْتَلَ معه ولده وعشيرته ، ولن يُقْتَلوا حتى تُقْتَلَ الخزرج ، ولن تُقْتَلَ الخزرج حتى تُقْتَلَ الأوس ، فلا تُحَرِّكوه فقد استقام لكم الأمر ، فإنّه ليس بضارّكم ، إنّما هو رجل وَحْدَهُ ما تُرِكَ . فقبل أبو بكر نصيحة بشير فترك سعدًا ، فلمّا ولى عمر لقيه ذات يوم فى طريق المدينة فقال : إيه يا سعد ، فقال سعد : إيه يا عمر ، فقال عمر : أنت صاحب ما أنت صاحبه ؟ فقال سعد : نعم أنا ذاك وقد أفضى إليك هذا الأمر ، كان والله صاحبك أحبَّ إلينا منك ، وقد والله أصبحتُ كارهًا لجوارك ، فقال عمر : إنّه من كَرِهَ جوارَ جاره تحوّل عنه ، فقال سعد : أما إنى غير مستنسئ بذلك ، وأنا متحوّل إلى جوار من هو خير منك . قال : فلم يلبث إلّا قليلًا حتى خرج مهاجرًا إلى الشأم فى أول خلافة عمر بن الخطّاب فمات بحوران .

أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنا يحيى بن عبد العزيز بن سعيد بن سعد ابن عبادة عن أبيه قال : تُوفى سعد بن عبادة بحَوْران من أرض الشأم لسَنَتَيْن ونصف من خلافة عمر . قال محمد بن عمر : كأنّه مات سنة خمس عشرة . قال عبد العزيز : فما عُلِم بموته بالمدينة حتى سمع غلمان فى بئر منبه أو بئر سكن وهم يقتحمون نصف النهار فى حَرّ شديد ، قائلًا يقول من البئر :

قَتَلْنَا سيِّدَ الخَزْرَجِ سعدَ بن عُبادهْ
رَمَيْنَاهُ بسَهْمَيْنِ فلَمْ نُخْطِ فؤادهْ

فذُعر الغلمان فحفظوا ذلك اليوم فوجدوه اليومَ الذى مات فيه سعد فإنّما جلس يبول فى نَفَقٍ فاقتُتِل فمات من ساعته ، ووجدوه قد اخضرّ جلده .

أخبرنا يزيد بن هارون عن سعيد بن أبى عَرُوبة قال : سمعتُ محمد بن سيرين يحدّث : أنّ سعد بن عبادة بال قائمًا فلمّا رجع قال لأصحابه : إنى لأجدُ دَبيبًا . فمات فسمعوا الجنَّ تقول :

قَتَلْنَا سيِّدَ الخَزْرَجِ سعدَ بن عُبادهْ
وَرَمَيْنَاهُ بسَهْمَيْنِ فلَمْ نُخْطِ فُؤادَهْ .

المنذر بن عمرو

ابن خُنَيْس بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن

ساعدة ، وأُمّه هند بنت المنذر بن الجَموح بن زيد بن حَرام بن كعب ابن غَنْم بن كعب بن سلمة . شهد العَقَبَة مع السبعين من الأَنصار فى روايتهم جميعًا ، وكان أحد النقباء الاثنى عشر . وشهد بدرًا وأُحُدًا وقتل يوم بئر معونة شهيدًا . وقد كتبنا خبره فيمن شهد بدرًا من بنى ساعدة .

ومن بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة ابن تزيد بن جشم بن الخزرج رجلان

البراء بن معرور

ابن صَخْر بن خنساء بن سِنان بن عبيد بن عدىّ بن غَنْم بن كعب بن سلمة ، وأُمّه الرَّباب بنت النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأَشهل بن جُشَم بن الأَوس . وكان للبراء من الولد بشر بن البراء شهد العَقَبَة وبدرًا ، وأُمّه خُليدة بنت قيس بن ثابت بن خالد ، من أشجع ثمّ من بنى دُهْمَان ، ومبشّر ، وهند مبايعة ، وسُلافة مبايعة ، والرَّباب مبايعة ، وأُمّهم خُميمة بنت صيفىّ بن صَخْر بن خنساء بن سنان بن عبيد من بنى سلمة . وشهد البراء بن معرور العَقَبَة فى روايتهم جميعًا ، وهو أحد النقباء الاثنى عشر من الأَنصار . وكان البراء أَوّل من تكلّم من النقباء ليلةَ العَقَبَة حين لَقِىَ رسولَ الله ، صلّعم ، السبعون من الأَنصار فبايعوه وأخذ منهم النقباء ، فقام البراء فحمد اللهَ وأثنى عليه وقال : الحمد لله الذى أَكْرَمَنَا بمحمّد وحبانا به ، فكنّا أوّلَ من أجاب وآخر من دعا ، فأَجبنا الله ورسولَه وسمعنا وأَطعنا ، يامعشر الأَوس والخزرج قد أكرمكم الله بدينه فإن أخذتم السمعَ والطّاعة والموازرة بالشكر فأَطيعوا اللهَ ورسوله . ثمّ جلس . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنى محمد بن عبد الله عن الزهرىّ عن ابن كعب ابن مالك قال : كان البراء بن معرور أوّل من استقبل القبلةَ حيًّا وميّتًا قبل أن يوَجّهها رسول الله ، صلّعم ، فأمره النبىّ ، صلّعم ، أن يستقبلَ بيتَ المقدس والنبىّ ، عليه السلام ، يومئذ بمكّة ، فأطاع البراء النبىّ ، عليه السلام ، حتى إذا حَضَرَتْه الوفاة أمر أهلَه أن يوجّهوه إلى المسجد الحرام ، فلمّا قدم النبىّ ، عليه السّلام ، مُهاجرا صلّى إلى بيت المقدس ستّة عشر شهرًا ثمّ

صُرفت القبلة نحو الكعبة . أخبرنا عفّان بن مسلم قال : أخبرنا حمّاد بن سلمة قال : أخبرني أبو محمد بن معبد بن أبي قَتادة : أنّ البراء بن معرور الأنصاري كان أوّل من استقبل القبلةَ ، وكان أحد النقباء السبعين ، فقدم المدينةَ قبل أن يهاجر النبيّ ، صلّعم ، فجعل يصلّي نحو القبلة ، فلمّا حضرتْه الوفاة أوصى بثُلث ماله لرسول الله ، صلّعم ، يضعه حيث شاء وقال : وَجِّهُوني في قبري نحو القبلة . فقدم النبيّ ، صلّعم ، بعدما مات فصلّى عليه .

أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثني كثير بن زيد عن المطّلب بن عبد الله قال : البراء أوّل من أوصى بثُلث ماله فأجازه رسول الله ، صلّعم .

أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثني معمر عن الزهريّ عن ابن كعب بن مالك قال : أوصى البراء بن معرور عند الموت أن يُوجَّهَ إذا وُضِعَ في قبره إلى الكعبة ، وقدم رسول الله ، صلّعم ، بعد موته بيسير وصلّى عليه .

أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثني يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة عن أمّه عن أبيه قال : كان موت البراء بن معرور في صفر قبل قدوم النبي ، صلّعم ، المدينة بشهر . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثني إسحاق ابن خارجة عن أبيه قال : لما صُرفت القبلة يومَ صُرِفَتْ قالت أمّ بشر : يارسول الله هذا قبر البراء . فكبّر عليه رسول الله ، صلّعم ، في أصحابه .

أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثني يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة عن أمّه عن أبيه قال : أوّل من صلّى عليه النبيّ ، صلّعم ، حين قدم المدينة البراء بن معرور ، انطلق بأصحابه فصفّ عليه وقال : اللهم اغفرْ له وارحمه وارض عنه وقد فعلت . أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسديّ عن أيّوب عن محمد بن هلال : أنّ البراء بن معرور توفي قبل قدوم النبيّ ، صلّعم ، المدينة ، فلمّا قدم صلّى عليه . أخبرنا عفّان بن مسلم قال : حدّثنا أبو عوانة عن أبي بشر قال : حدّثني رجل من أهل المدينة أنّ رسول الله صلّعم ، صلّى على قبر رجل من النقباء . قال محمد بن عمر : وكان البراء ابن معرور أوّل من مات من النقباء .

عبد الله بن عمرو

ابن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة ،

وأُمُّـه الرَّباب بنت قيس بن القُـريم بن أُميَّـة بن سِنان بن كعب بن غَنْم ابن كعب بن سلمة ، وهـو أبو جـابر بن عبـد الله . شـهد العَقَبَـة مع السبعين من الأَنصـار فى روايتهم جميعًـا ، وهـو أحـد النقبـاء الاثنى عشر ، وشهد بدرًا وأُحُـدًا وقُتل يومئذٍ شهيدًا . وقد كتبنا أَمره فيمن شهد بدرًا من بنى سلمة .

ومن القواقلة رجل

عبادة بن الصامت

ابن قيس بن أصرم بن فِهْـر بن ثعلبـة بن غَنْم بن عـوف بن عمـرو ابن عـوف بن الخـزرج ، وأُمُّـه قُـرَّة العين بنت عُبـادة بن نَضْلة بن مالك بن العَجْـلان بن زيد بن غَنْم بن سـالم بن عـوف بن عمرو بن عـوف بن الخـزرج ، ويكنى أَبا الوليـد . شـهد العَقَبَـة مع السبعين من الأَنصـار ، وهـو أَحـد النقبـاء الاثنى عشر ، وشـهد بدرًا وأُحُـدًا والخنـدق والمشاهـد كلَّهـا مع رسول الله ، صلّعم . وقد كتبنا أَمـره فيمن شهد بدرًا من القواقلة .

ومن بنى زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة
ابن مالك بن غضب بن جشـم بن الخزرج رجل

رافع بن مالك

ابن العَجْـلان بن عمـرو بن عامـر بن زريق ، وأُمُّـه ماوِيَّة بنت العَجْلان ابن زيد بن غَنْم بن سـالم بن عـوف بن عمـرو بن عـوف بن الخـزرج ، ويكنى أَبا مالك . وكان لرافـع بن مالك من الولد رفاعـة وخـلَّاد ــ وقد شـهد بدرًا ــ ومالك وأُمُّهم أُمّ مالك بنت أُبَىّ بن مالك بن الحـارث بن عبيـد بن مالك بن سـالم الحُبْلى . وكان رافـع بن مالك من الكَمَلَة ، وكان الكامل فى الجاهليـة الذى يكتب ويُحْسِن العـومَ والرمىَ ، وكان رافـع كذلك ، وكانت الكتابة فى القـوم قليـلًا . ويقـال إنَّ رافـع بن مالك ومعـاذ بن عَفْراء أَوَّل من لَقِىَ رسـولَ الله ، صلّعم ، بمكَّة من الأَنصـار وأَسلما وقدما بالإسلام المدينة ، وفى ذلك روايةٌ لهمـا ، ويُجْعَـل رافـع فى الثمانيـة النفـر الذين يُرْوَى أَنَّهم أَوَّل من أَسـلم من الأَنصـار بمكَّة ، ويُجْعَل فى الستَّة النفـر الذين يروى أَنَّهم أَوَّل من أَسـلم من الأَنصـار وليس قبلهم أَحـد . قال محمـد بن عمـر : وأَمـر الستَّة

النفسر أثبت الأقاويل عندنا ، والله أعلم . وقد شهد رافع بن مالك العَقَبَة مع السبعين من الأنصار فى روايتهم جميعًا ، وهو أحد النقباء الاثنى عشر الّذين من الأنصار . ولم يشهد رافع بن مالك بدرًا ، وشهدها ابناه رفاعة وخلّاد ، ولكنّه قد شهد أُحُدًا وقُتل يومئذ شهيدًا فى شوّال على رأس اثنين وثلاثين شهرًا من الهجرة . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنى عبد الملك بن زيد ، من ولد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، عن أبيه قال : آخى رسول الله ، صلّعم ، بين رافع بن مالك الزُّرقى وبين سعيد ابن زيد بن عمرو بن نُفيل . فهؤلاء النقباء من الأنصار الّذين نَقَّبهم رسول الله ، صلّعم ، على قومهم ليلة العَقَبَة وهم اثنا عشر رجلًا .

ذكر كلثوم بن الهدم العمرى وعده ممن يروون انهم شهدوا بدرا وليس ذلك بثبت .

كلثوم بن الهدم

ابن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنا مُجَمّع بن يعقوب عن سعيد بن عبد الرحمن بن رُقَيش عن عبد الرحمن بن يزيد بن حارثة عن عمّه مجمّع بن جارية ، وأخبرنى محمد بن عمر قال : حدّثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة عن عثمان ابن وثّاب مولى بنى حمزة عن أبى غطفان عن ابن عبّاس قالا : كان كلثوم ابن الهدم رجلًا شريفًا وكان شيخًا كبيرًا ، وأسلم قبل مقدم رسول الله ، صلّعم ، المدينة فلمّا هاجر رسول الله ، صلّعم ، ونزل فى بنى عمرو بن عوف نزل على كلثوم بن الهدم ، وكان ، صلّعم ، يتحدّث فى منزل سعد بن خيثمة ، وكان يسمّى منزل العزّاب . قال محمد بن عمر : فلذلك قيل نزل على سعد بن خيثمة ، والثبت عندنا نزوله على كلثوم بن الهدم العَمْرى . ونزل على كلثوم أيضاً جماعة من أصحاب رسول الله ، صلّعم ، منهم أبو عُبيدة بن الجراح والمقداد ابن عمرو ، وخبّاب بن الأرَتّ ، وسُهيل وصفوان ابنا بيضاء ، وعياض بن زهير ، وعبد الله بن مَخْرمة ، ووهب بن سعد بن أبى سَرْح ، ومعمر بن أبى سرح ،

وعمرو بن أبي عمرو من بني محارب بن فهر ، وعمير بن عوف مولى سُهيل ابن عمرو . وكلٌّ هؤلاء قد شهدوا بدرًا ، ثمَّ لم يلبث كلثوم بن الهِدْم بعد قدوم رسول الله ، صلّعم ، المدينة إلّا يسيرا حتى توفّى وذلك قبل أن يخرج رسول الله ، صلّعم ، إلى بدر بيسير ، وكان غير مغموص عليه فى إسلامه ، وكان رجلًا صالحًا .

الحارث بن قيس

ابن هَيْشَة بن الحارث بن أُمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وأُمُّه زينب بنت صَيْفِيّ بن عمرو بن زيد ابن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الأوس . وكان أخوه حاطب بن قيس الذى كانت فيه الحرب بين الأوس والخزرج وتسمى حرب حاطب ، وأُمُّ حاطب أيضاً زينب بنت صَيْفِيّ بن عمرو وهى أُمُّ عتيك بن قيس أيضاً ، والحارث وحاطب وعتيك بنو قيس بن هيشة ، وهم عمومة جبر بن عتيك بن قيس بن هيشة . ذكر عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصاريّ أنَّ الحارث بن قيس شهد بدرًا ، وقال محمد بن عمر : سمعت من يذكر ذلك وليس بثبت ، وأمّا موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وأبو معشر فلم يذكروا الحارث بن قيس فيمن شهد عندهم بدرًا ، ولا يشكُّون جميعًا فى روايتهم أنَّ ابن أخيه جبر بن عتيك قد شهد بدرًا ، وغلطوا فى نسبه فقالوا : جبر بن عتيك ابن الحارث بن قيس بن هيشة ، فنسبوه إلى عمّه وليس كذلك ، هو جبر ابن عتيك بن قيس ابن أخي الحارث بن قيس .

سعد بن مالك

ابن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وأُمُّه من بني سليم ، ويقال بل هي من ولد الجموح بن زيد بن حرام من بني سلمة . وكان لسعد بن مالك من الولد ثعلبة قُتل يوم أُحُد شهيدًا لا عقب له ، وسعد بن سعد وعمرو وعمرة وأُمُّهم هند بنت عمرو من بني عُذْرة ، فولد سعد بن سعد سهل بن سعد صحب النبيَّ ، صلّعم ، وأُمُّه أُبَيَّة بنت الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك بن

خثعم . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنى أُبَىّ بن عبّاس بن سهل ابن سعد الساعدىّ عن أبيه عن جدّه قال : تجهّز سعد بن مالك ليخرج إلى بدر فمرض فمات ، فموضع قبره عند دار بنى قارظ ، فضرب له رسول الله ، صلّعم ، بسهمه وأجره . أخبرنا محمد بن عمر عن عبد المُهَيْمِن ابن عبّاس عن أبيه عن جدّه قال : مات سعد بن مالك بالرَّوْحاء فأسهم له النبىّ . قال محمد بن عمر : وسمعت من يذكر أنّ الذى شهد بدرًا هو سعد بن سعد بن مالك بن خالد ، وهو أبو سهل بن سعد الساعدىّ ؛ وأمّا عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصارىّ فولّدهم فى كتاب نسب الأنصار كما ذكرنا فى كتابنا هذا ، ولم يذكر أنّ أحدًا منهما شهد بدرًا ، ولا أحسب تَرْك تسميته فى بدر إلا أنّه مرض فمات قبل أن يخرج إليها كما روى أُبَىّ وعبد المهيمن ابنا عبّاس عن أبيهما عن جدّهما . أخبرنا يحيى بن محمد الجبارى قال : حدّثنى عبد المهيمن بن عباس بن سهل ابن سعد الساعدىّ عن أبيه ، أنّه سمعه يحدّث عن أبيه سهل بن سعد أنّ سعد بن سعد بن مالك أباه أوصى للنبىّ ، عليه السلام ، فكتب وصيّته فى مُؤخّر رَحْله ، فأوصى له برَحْله وراحلته وخمسة أَوْسُق من شعير ، فقبلها النبىّ ، صلّعم ، ثمّ ردّها على وَرَثَته . قال محمد بن سعد : وهذا يدلّك على أنّ الذى ذُكر فى بدر هو سعد بن سعد بن مالك ، وأنّه تُوفّى وهو يتجهّز إلى بدر ، وأوصى لرسول الله ، صلّعم ، بهذه الوصيّة . وأمّا ما روى أُبَىّ وعبد المهيمن ابنا عبّاس ، عن أبيهما عن جدّهما ، أنّ رسول الله ، صلّعم ، أسهم له فى بدر . فليس ذلك بثبت ، ولم يروه أحد ممّن روى المغازى . وأمّا موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وأبو معشر فلم يذكروا سعد بن مالك ولا ابنه سعد بن سعد فيمن شهد عندهم بدرًا ، وهو الثبت عندنا أنّه لم يشهد أحد منهما بدرًا ، ولعلّه كان يتجهّز للخروج فمات قبل ذلك كما روى أُبَىّ وعبد المهيمن ابنا عبّاس فى حديثهما . ولسعد ابن سعد بن مالك عقب .

مالك بن عمرو النجارى

نظرنا فى كتاب نسب الأنصار فلم نجد نَسَبَه فيه ، ووجدنا مالك بن

عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول ، وهو عامر بن مالك بن النجّار ، ومالك ابن عمرو هو الذي وجدناه في نسب الأنصار ، فهو عمّ الحارث بن الصّمّة بن عمرو ولا أحسبه إيّاه . أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثني يعقوب ابن محمد الظّفَرىّ عن أبيه قال : كان مالك بن عمرو النجّاري مات يوم الجمعة ، فلمّا دخل رسول الله ، صلّعم ، فلبس لأمته ليخرج إلى أُحُد خرج وهو موضوع عند موضع الجنائز فصلّى عليه ثمّ دعا بدابّته فركب إلى أُحُد .

خلاد بن قيس

ابن النعمان بن سِنان بن عبيد بن عدىّ بن غَنْم بن كعب بن سلمة ، وأمّه إدام بنت القين بن كعب بن سواد من بنى سلمة . ذكر عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصارى أنّه شهد بدرًا مع أخيه خالد بن قيس ابن النعمان بن سنان بن عبيد ، ولم يذكر ذلك محمد بن إسحاق وموسى ابن عقبة وأبو معشر ومحمد بن عمر فيمن شهد عندهم بدرًا ، قال : ولا أظنّ ذلك بثبت لأنّ هؤلاء أعلم بالسيرة والمغازى من غيرهم ، ولا أظنّ ما روى عبد الله بن محمد بن عمارة بثبت . ولخلّاد بن قيس إسلام قديم .

عبد الله بن خيثمة

ابن قيس بن صَيْفىّ بن صَخْر بن حرام بن ربيعة بن عدىّ بن غَنْم ابن كعب بن سلمة ، وأمّه عائشة بنت زيد بن ثعلبة بن عبيد من بنى سلمة . ذكر عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصارىّ أنّه قد شهد بدرًا مع عمّيْه معبد وعبد الله ابنى قيس بن صَيْفىّ ، ولم يذكره موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وأبو معشر ومحمد بن عمر فيمن شهد عندهم بدرًا . قال : وتوفى عبد الله بن خيثمة وليس له عقب .

تم الجزء الثالث

الجزء الثالث

التحقيقات والشروح

ترجمة

دكتور عوني عبد الرؤوف

تطور الرواية التاريخية عند العرب
ومنزلة ابن سعد من ذلك *

للأستاذ المستشرق إدوارد ساخاو

لعله من الأفضل أن نبدأ تقديم أول طبعة تظهر لمؤرخ للقرون الأولى ببحث يحاول التعرف على آرائه وشخصيته، وأن نكتشف طبيعة المؤرخ القابعة خلف كتابه. وإن كانت صور الإبداع الأدبي فى الشرق فى الغالب الأعم موضوعية وغير شخصية إلا أننا قد نفاجأ على مر السنين الطويلة - وذلك فى الشرق أكثر منه فى الغرب - بشخصية تطل علينا متميزة من وراء الصياغة التقليدية الكثيفة فيسعد المرء كثيرا حين يكافأ - بعد طول دراسته للأدب الشرقى واشتغاله بالبحث فى أحد الكتب الأدبية - بأن يحس نبضات عروق كاتب مرموق، أو يتعرف على طبيعة عالم مشهور؛ ولكن على أى حال يجب أن نقوم بهذه المحاولة هنا أيضاً، وأن نجتهد فى التعرف على ابن سعد الذى أكل على مائدته الحافلة كثير من الأجيال، ليس فقط من خلال هذا الجزء الذى نقدمه من عمله الضخم، ولكن من خلال العمل كله. ومن ثمّ يجب أن نبدأ هنا بالحديث عن تطور تدوين الروايات التاريخية العربية القديمة التى ينتظم ابن سعد بكتابه فى عقدها، وأن نقدم تلخيصا للمنهج السردى الذى اتبعه فى هذا الجزء.

— ١ —

الرواية التاريخية قبل ابن سعد(١)

اهتم المسلمون الأول بالدراسات التاريخية اهتماما ملحوظاً، وكانت المدينة المنورة هى أول مدينة عرفت هذا النوع من الدراسة. فبعد أن ظلت طوال ربع قرن من الزمان - أى من سنة ٦٣٠ حتى ٦٥٥م تقريباً - مركزاً للقوة الدينية، تحولت بعد الأحداث العاصفة التى تتالت بعد مقتل عثمان إلى مأوى لكبار السن والشيوخ، وتغيرت من عاصمة صاخبة إلى مدينة منعزلة هادئة. فبعد أن كانت المدينة مقر حكم الخلفاء المدققين المتحرجين - الذين

(*) ترجمها وعلق عليها الدكتور عونى عبد الرءوف وقد نشرت كمقدمة للجزء الثالث / قسم أول من كتاب الطبقات.

(١) راجع ما كتبه Aloys Sprenger فى مجلة Journal ot fhe Asiatic Society Of Bengal بالعددين ٢٠، ٢٥ وكذا مقدمة ما كتبه عن حياة محمد وتعاليمه جـ ٣
Das Leben and die Lehre des Mohammed III

آدوا دورهم السياسي كما ينبغي ، والذين أكرهوا على التخلي عنه لظروف قهرية — صارت موطنًا دراسيًا لبعض الرءوس المفكرة الجادة التي مهدت ، بالتعاون مع مواليها ، للدراسات الدقيقة عن الأحوال المعيشية التي يحيونها وعن نشأتها وتكوينها . فعندما وضع عليٌّ — الذي لم يُعرف في تاريخ العالم شخصية اختلف عليها مثل شخصيته — التاج(١) الذي طالما طمع فيه وتطلع إليه على رأسه ، ثم غادر أواخر صيف سنة ٦٥٦(٢) بخيله وأتباعه المدينة إلى غير عودة ، خيّم على المدينة صمت أشبه بصمت القبور في حين علا صليل السلاح في الأصقاع البعيدة ، في المقاطعات الأسيوية والأفريقية ، ينذر بانهيار الإمبراطوريات الرومانية والفارسية والهندية(٣)

وقد احتفظت المدينة على الرغم من الأحداث الحربية القليلة التي مرت بها بهذا الصمت مئات السنين حتى انتهاء الخلافة الأموية في دمشق سنة ٧٥٢م(٤) ، ولم تشهد المدينة وما جاورها طوال هذه السنين إلا مذبحة مشئومة قاسية حينما أعلن غلاة المتدينين تحديهم للسلطة العسكرية المتفوقة عليهم . ففي أغسطس سنة ٦٨٣م(٥) أعلن الصحابة عدم مبايعتهم لعاشق الخمر يزيد بن معاوية بالخلافة ، وضحوا بأرواحهم في سبيل ذلك ؛ وبهذا أزهقت تلك الروح الدينية المتسمة بالطابع العسكري التي عمل عمر على تربيتها بالمدينة .

وقد كان للمدينة سحرها باعتبارها مقرًا لأقارب محمد ومعظم الصحابة والمحاربين ، فجذبت إليها كل متعطش للمعرفة ، وكذا شباب الأسر الاسلامية القديمة ومعتنقي الإسلام الجدد في كافة بقاع الخلافة الممتدة الواسعة . فمن كل حدب وصوب تواكبوا إلى المدينة ليتعلموا كيف نشأت العقيدة الجديدة وكيف تكونت الأمبراطورية الاسلامية ، وليجدوا إجابة عن كافة ما اعترضهم في دراستهم أو حياتهم من أسئلة ؛ وكان بعضهم يلم بالمدينة إلمامة قصيرة يقضيها بها عقب ما تفرضه عليه عقيدته من أيام الحج المعدودة في مكة ، في حين كان البعض الآخر تدفعه الرغبة في الدراسة إلى البقاء بها سنوات عديدة .

وقد تساءل ابن سعد عن أصحاب محمد المعمرين الذين يعدون روادًا للاسلام ، والذين كانوا يتمتعون بالنفوذ الأعظم في العالم الإسلامي آنذاك وبعد ذاك بأقوالهم وبتصديهم لجميع مشاكل العقيدة والشريعة والروايات التاريخية ، وبإدراكهم وفهمهم لما يروى عن الرسول . وجه ابن سعد لنفسه هذا السؤال ، وحاول الإجابة عنه ، عقب حديثه عن سيرة محمد ، بشروح ضافية وافية وعرض تفصيلي طبقًا لما تراءى له .

كانت نظم الخدمة العسكرية التي انبثقت

---

(١) التعبير هنا غربي محض اذ ان الاسلام لا يعرف التاج ولا الصولجان . (عوني)

(٢) يشير بذلك الى عدم مشاركة اهل المدينة في الفتوح الاسلامية وعدم اتصالهم بها عن قرب بعد رحيل علي ابن ابي طالب عنها . (عوني)

(٣) اى عام ١٣٢ هـ (عوني)

(٤) اى عام ٥٦ هـ (عوني)

من ذهن عمر تقضى بأن يقوم نصف المسلمين بالخدمة العسكرية على الحدود ، فى حين يبقى النصف الآخر بالوطن ليقوم بتحفيظ القرآن وتدريس الشريعة الاسلامية لمعتنق الإسلام الجدد . وبعد فترة من الزمن يحل هؤلاء الذين يقومون بالتدريس محل إخوانهم على الحدود ، فى حين يعود أولئك إلى الوطن ليحلوا محلهم فى القيام بالتدريس .

وقد كان تعليم كلام الله (القرآن) وكيفية الصلاة فى هذه المدينة الدينية تجارة رابحة(١) فالصلاة الإسلامية – كما هو معروف – ليست بسيطة مثل الصلاة المسيحية ، فقد بلغت درجة من التعقيد وجب معها التوجيه إلى ضرورة كثرة المران والحفظ عن ظهر قلب(٢) وطالما بقى أئمة المسلمين من أهل السنة بعد قضاء الصلوات الخمس كل يوم بالمسجد طويلاً ليحادثوا الناس ويردّوا على أسئلتهم ، وكذلك كان عمر أيضا يفعل (هذا لوجرؤ(٣) أحد أن يوجه الخطاب لصاحب العظمة ذى الثياب المرقعة)(٤) .

وما أعظم ما يدل عليه اتجاه كبار الصحابة وأحبهم إلى الرسول إلى البقاء بالمدينة وعدم الاشتراك فى الحروب التى اتسعت رقعتها فى الأصقاع البعيدة . فمن الذين أقاموا بالمدينة علىٌ وعبد الرحمن بن عوف اللذان كانا يتمتعان بالتقدير بين المسلمين فيها ؛ ولعله من الممكن الآن أن نتساءل عما إذا كان الخليفتان (أبو بكر وعمر) لا يريدان أن يعطيا لصديقيهما المقربيْن الفرصة لأن يزدادا قوة أم أن ثمة سبباً آخر ؟ ولكن من المؤكد أن الإسلام أيام عمر اتجه بكل بساطة ، إلى تدنيس روح المسلمين (٥) بممارسة الأعمال بالسياسة ، بالحروب ، بالغزو والحكم ؛ الأمر الذى هدّد سلامه الدائم .

وإنه لمن المعالم المميزة ألا يعهد لأصحاب محمد المخلصين فى اعتناقهم لدعوته بالقيادات الكبرى(٥) ، بل عهدبها إلى رجال مارسوا هذه القيادات ، وعرفوا بمواهبهم الحربية أمثال سعد بن أبى وقاص الذى لم يشتهر بالصلاة

---

(١) لم يعرف عن أحد من أهل المدينة آنذاك التكسب من وراء الاشتغال بالتدريس . (عوني)

(٢) ليست الصلاة لدى المسلمين على درجة من التعقيد تستلزم كثرة المران والحفظ ، ويجب الا ننسى أن العربى كان قوى الحفظ والرواية . (عوني)

(٣) انظر ما ورد فى « ذكر استخلاف عمر رحمه الله » انظر ص٢٠٦ س٢١٢ عن أن حجاما كان يقص عمر بن الخطاب وكان رجلا مهيبا ، فتنحنح عمر فأحدث الحجام ؛ ومن اجتماع على وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد ، وكان اجرأهم على عمر عبد الرحمن بن عوف ، فقالوا : ياعبد الرحمن لو كلمت امير المؤمنين للناس فانه يأتى الرجل طالب الحاجة فتمنعه هيبتك أن يكلمك فى حاجة حتى يرجع ولم يقض حاجته . فدخل عليه فكلمه فقال : يا أمير المؤمنين : لن للناس فانه يقدم القادم فتمنعه هيبتك أن يكلمك فى حاجاته حتى يرجع ولم يكلمك .. » (عوني)

(٤) انظر ج ٣ ق١ ص ٢٣٦ (عوني)

(٥) ورد لدى ابن سعد فى « ذكر استخلاف عمر رحمه الله : وكان يستعمل رجلا من أصحاب رسول الله عليه السلام مثل عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة ، ويدع من هو افضل منهم مثل عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف ونظرائهم لقوة أولئك على العمل والبصر به ولاشراف عمر عليهم وهيبتهم له ، وقيل له مالك لا تولى الأكابر من أصحاب رسول الله عليه السلام ؟ فقال : اكره أن ادنسهم بالعمل . وهذا ما يعنيه سخاو بتدنيس روح المسلمين بممارسة الأعمال . (عوني)

مثل ما اشتهر أصدقاؤه ، وإن كان أول من أطلق الرمح من أجل الإسلام ، وأقدر قائد نجح فى إزالة الامبراطورية الساسانية فى بابل أو خالد بن الوليد الذى أصبح – وإن كان فى عقيدته ضعف(١) – من أعظم الفاتحين المسلمين .

وعلى أى فقد كان بقاء هؤلاء الصحابة القدمين – مثل علىّ وعثمان زوجىْ بنات محمد والمدنيين مثل زيد بن ثابت وأبىّ بن كعب – بالمدينة أنفع لهم من الخروج منها ، ليبقوا بجوار الخليفة وليتوبوا عنه فى إمامة الناس بالصلاة ، أو يقوموا مقامه حين يترك المدينة أيام الحجّ من كل عام ، وأخيرا ليقوموا بتدريس وتفسير القرآن والعقيدة والشريعة الإسلامية .

ولم يعرف تاريخ الاسلام القديم إلا رجلاً أوحد(٢) حذق أداء واجبات المسلم آنذاك كما كان قائداً لا يشق له غبار ؛ ذلك الرجل الذى لقبه محمد بالأمين ، إنه عبيدة بن الجراح الذى اقترحه عمر – ضمن من اقترح – للخلافة ، والذى فتح سوريا وفلسطين ومات شهيداً فى طاعون عمْوَاس بعد أن أخطأته الشهادة فى حروبه :

وبالرغم من أن الصلوات الخمس كانت تجمع المسلمين ببيت الله حيث يتاح لطالب العلم أن يرى الروّاد الأُول فى الاسلام وأن يحادثهم ، إلا أنه لم يكن ثمة دراسة منتظمة عقب الصلاة ، كما أنه كان من الصعب أيضاً الوصول إلى من عندهم ينابيع العلم مثل ما كان الأخذ عنهم غير ميسر دائماً : ا

ومن أكبر هؤلاء الأئمة وأعظمهم قارئ القرآن أبىّ بن كعب الذى أملاه محمد – عليه السلام – بعض سور القرآن ، فقد عُرض هنا كرجل غير أنيس وشخصى نصعب مخالطته . فنجد أن رجلاً غريبا حاول أن يأخذ عنه فلا يفلح فى الوصول إلى شيء مما ينشده من علمه فيما يظهر ، فيخاطبه غاضباً «ما لكم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نأتيكم من البعد نرجو عندكم الخير أن تعلمونا ، فإذا أتيناكم استخففتم أمرنا كأننا نهون عليكم» . فقال : «والله لئن عشت إلى هذه الجمعة لأقولن فيها قولاً لا أبالى استحييتمونى عليه أو قتلتمونى(١)» .

وثمة رواية أخرى تتصل بنفس الحادثة فيما يظهر تروى هكذا :

«جاء رجل من العراق إلى المدينة فرأى أبيًا فى المسجد وسمعه يتحدث ، وعندما غادر

---

(١) فى تعبير ساخاو هنا قسوة بالغة وحكمة على خالد فيه خطأ متوهم لعله نتج عن قصور فى فهم بعض الروايات التاريخية . (عونى)

(٢) فيما يرى الكاتب المستشرق . (عونى)

(١) الطبقات جـ ٣ من ٢ ص ٦١ س ٨ .

أبيّ المسجد ومضى إلى منزله ، تبعه الرجل حتى أتى منزله وسلم عليه ، فقال له أُبيّ : ممن أنت ؟ فقال الغريب : من أهل العراق ، قال : أكثر مني سؤالا ؛ قال : لما قال ذلك (هكذا يروى العراقي) غضبت . قال : فجثوت على ركبتي وابتهلت «اللهم نشكوهم إليك (أصحاب الرسول) إنا ننفق نفقاتنا وننصب أبداننا ونرحّل مطايانا ابتغاء العلم ، فإذا لقيناهم تجهموا لنا وقالوا لنا» . فتأثر أبيّ الكهل بذلك ووعد الغريب إذا ما عاش إلى يوم الجمعة القادمة أن يقول فيها قولا سمعه من الرسول لا يبالى فيه بأحد . ثمّ انصرف الغريب عنه . ولما أقبل يوم الجمعة ، واتجه الغريب إلى طريق المسجد ، وجد السكك غاصة بالناس ، فلما سأل عن السبب قيل له : «إنا نحسبك غريبا ، وإلا لعرفت أن سيد المسلمين أبي بن كعب قد مات» (١)

وفضلاً عن دروس القرآن والدين العامة ، كانت هناك مسائل عن العقيدة والحقوق والسياسة وكذلك الأنساب يطمع الغريب في أن يجد إجابة عنها لدى الصحابة . وكذلك كان أولاد المسلمين القدامى الذين ولدوا في الغربة يحاولون البحث عن مكانة أسلافهم أيام النبي . كذلك انتشر عشرات من صحابة الرسول في كافة أنحاء مقاطعات الخلافة

(١) الطبقات جـ٣ ق٢ ص٦١ س٨ـ٢٠ .

الإسلامية حيث كان عليهم أن يجيبوا بعلمهم ومعرفتهم ــ قل ذلك أم كثر ــ عن الأسئلة التي كانت توجه إليهم . إلا أن الناس لم تسع إليهم سعيهم إلى أخوانهم بالمدينة ، ولم تقدرهم التقدير نفسه . ولكن منهم من ورد ذكره كثيراً في كتب التاريخ الإسلامي القديمة من التابعين المشهورين بكثرة الرواية مثل عبد الله ابن عمرو بن العاصي ، ابن المحارب وحاكم مصر عمرو بن العاصي . وكان إسلامه أفضل من إسلام أبيه ومن إسلام معاوية اللذين شهد معهما موقعة صفين واللذين ظل يورقهما بترديد رواية سمعها عن الرسول(٢) . ويروى أحد أصحاب الطبقات في ترجمته أنه عاش في مصر ، ولذلك لم يلجأ إليه إلا عدد قليل من الناس للأخذ عنه ، في حين أن الناس كانت تأتي إلى أبي هريرة الذي كان يعيش بالمدينة من كل صقع وصوب ، إذ أن المدينة كانت قبلة أنظار المسلمين في جميع البقاع(٣)

ومن أكبر وأشهر من عاش بالمدينة من الصحابة ابن الخليفة عمر بن الخطاب الأكبر عبد الله بن عمر ، ويطلق عليه عادة ابن عمرو ، ويكنى بأبي عبد الرحمن ، وقد عمر طويلاً فقد مات عن ٨٤ عاما . اعتنق الإسلام وهو

(٢) الطبقات جـ ٣ ق١ ص١٨٠ س٢٤ .

(٣) انظر النووي . Biographical Ditionary تحقيق فيستنفلد ص ١/٣٦٢ .

(وهو الجزء الاول من تهذيب الاسماء واللغات للنووي) .

غلام مع والده ، واستبعد من صفوف المحاربين يومى بدر وأحُد لصغر سنه ، وشارك بعد ذلك فى جميع حروب محمد بعد غزوة الخندق ، ثم نجده ، بعد موت الرسول ، فى سرية تحت إمرة خالد بوسط الجزيرة العربية سنة ١٢ هـ . وفى عام ٢٠ هـ حارب فى العراق تحت إمرة النعمان بن مقرن ، وحارب سنة ٣٠ هـ بفارس وبالبلاد الواقعة جنوبى بحر قزوين ، كما أنه سار تحت إمرة يزيد ابن معاوية سنة ٤٩ هـ لمحاربة القسطنطينية .

وعند ما عين عمر بن الخطاب الصحابة الذين يجب أن يختار منهم خليفة له استثنى منهم ولده عبد الله بحجة أنه – ويا للسخرية ! – ليس يطيق أن يطلق زوجته(١) ، ولكنه جعله – رغم ذلك – معهم عضواً مشيراً . وفى صيف عام ٦٥٧(٢) م ظهر عبدالله مرة أخرى على مسرح السياسة ؛ فبعد أن انتهت موقعة صفين باتفاق الطرفين علىّ ومعاوية على التحكيم فى شأن من يتولى الخلافة فى حضرة كبار رجال الدولة ، اقترح أبو موسى الأشعرى تولية عبد الله بن عمر الخلافة – ربما ذراً للرماد فقط – ولكن اقتراحه لم يحز قبولًا .

ويبدو أنه كان يعتزل دائماً الأحداث السياسية الصعبة التى عاشها عصره ، حتى إن الفرق الكبرى – سواء أكانوا العلويين الذين اتهموا بإراقة دم عثمان أم الأمويين الذين طالبوا برأس قتلة عثمان أم الزبيريين فى مكة أو غلاة العراقيين – لم تتمكن أى منها من اكتسابه إلى صفها . بل إن عليًّا حينما سأله أن يبايعه بالخلافة رفض ، كما رفض سعد بن أبى وقاص أيضاً متضامناً معه ؛ ومن ثم اتهمه علىّ بأنه كان منذ طفولته طفلاً سيئ الخلق ؛ الأمر الذى يجعلنى أعتقد أنهما لم يكونا فى طفولتهما صديقين . إلا أنه رفض أيضاً الاشتراك فى مغامرة عائشة والزبير وطلحة فى مسيرتهم إلى العراق لمحاربة على ؛ كذلك رفض مبايعة يزيد بن معاوية بالخلافة بالرغم من أن معظم العمريين وقفوا فى صف الأمويين فى دمشق وذلك حينما أرغمهم معاوية على ذلك .

وقد صرح فى مناسبتين مختلفتين فى حياته بأنه لن يبايع أحدًا إلا إذا اتفق المسلمون جميعًا على البيعة له ، وقد بقى أمينا فى تنفيذ ذلك فرفض البيعة لمروان رفضه ليزيد . وقد قيل عنه آنذاك بأنه رجل ضعيف ، والمقصود بذلك أنه لا وزن له من الناحية السياسية . وكان فى ذلك الوقت معمّراً هرماً ، لم يشارك فى حياته مطلقا أصحاب القوة والسلطة ، بل عاش حياته

---

(١) الطبقات جـ ٣ ق ١ ص ٢٤٨ س ٢٤ « .. استخلف رجلا ليس يحسن يطلق امراته ؟ » . (عونى)

(٢) سنة ٣٧ هـ . (عونى)

زاهدًا متمثلاً بالمثل الدينية الصارمة التى خلفها والده العظيم ، يقطع وقته بالصلاة والصوم والجهاد ، دون غش أو خوف ، وكان مثالا للمسلم فى صدر الاسلام .

كان عبد الله عمدة للرواية القديمة ، وعنه تدفقت روايات كثيرة ، تجمعها كلها صفة الصدق ولا يرقى اليها الاتهام أو التكذيب ، إذ أنه كان راويها فقد كان الشاهد العيان أو السامع لجزئيات الحوادث الهامة أيام الاسلام الأولى ، ولم يعرف عنه قط الرغبة فى التدليس أو دس الخبر الكاذب . توفى عبد الله بن عمر سنة ٦٣ هـ (أوائل سنة ٦٩٣م) فى مكة حيث أقام بعد أدائه فريضة الحج ، وذلك بعد بضعة أشهر من موت خليفة مكة عبد الله بن الزبير وانهيار خلافته ، وانتقال أسرته بعد موته إلى المدينة .

وقد خلف سعيد بن المسيب[1] ابن عمر فى زهده وورعه وعنايته بالرواية وكافة خصاله ، فرجح كافة التابعين فى المدينة فى قدرته على الرواية وتأريخ الأحداث الأولى فى الإسلام . ولد بعد مولد ابن عمر بثلاثين سنة تقريبا أيام خلافة عمر فرآه وسمع منه ، وكان أبوه مكيًا من بنى مخزوم ، ولم يكن لأسرته أى دور يذكر فى الإسلام ، فلم يعتنق أبوه وجده الإسلام إلا بعد فتح مكة فى يناير سنة ٦٣٠م[2] ، ولم يكن من أقارب النبى أو يتصل نسبه بأمير أو حاكم عربى أو روى مثل ابن عمر وعروة بن الزبير ، وبذلك لا يدين بالمكانة الرفيعة التى وصل إليها إلا لعلمه واجتهاده .

لم يرو عن نفسه أنه اشترك فى الحروب الإسلامية ، ولم نعرف عنه إلا أنه قضى حياته كلها بالمدينة ناسكاً متعبدًا مجتهداً فى العلم . كذلك ابتعد عن السياسة كلية ، فلم يعرف عنه أنه اتصل بأى حزب حاكم فى عصره اتصالاً ما . كان لا يعرف فى إبداء آرائه خوفاً ولا يخشى لوماً ، الأمر الذى جعل لآرائه وزنًا وأهمية كبرى ، ولذلك لم يكن ثمة مفر من اصطدامه بالسلطة الحاكمة والاختلاف معها دون أن تشفع له قرابة ما فتحميه من بطش ذوى السلطان . فلما طلب منه عبد الله بن الزبير — الذى كان يحكم نصف العالم الاسلامى آنذاك جاعلًا مقر حكمه مكة — مبايعته ، رفض فأمر بجلده ستين جلدة ، وكذلك فعل به الخليفة الدمشقى عبد الملك حينما طلب منه مبايعة ابنيه وليد وسليمان فرفض . كان يرفض تلبية دعوة الخلفاء . حين يحضرون إلى المدينة فلا يذهب إليهم ، بل بلغ من اعتزاله

---

(١) انظر ابن سعد جـ٥ ص٨٨-١٠٦ تحقيق تسترستين

(٢) رمضان سنة ٨ هـ (يونيو)

الحياة السياسية فى عصره أنه بقى وحده يتعبد بالمسجد وقت أن كانت موقعة الحرة تدور على أبواب المدينة فى أغسطس سنة ٦٨٣م(١) وهكذا وجده المحاربون الشآميون حينما دخلوا المدينة بعد انتصارهم ، وبعد أن أكثروا من التدمير والقتل .

عاش سعيد وسط أصحاب محمد الذين عاشوا وساعدوا فى نماء العقيدة الجديدة والدولة الفتية . كان متزوجا من إحدى بنات أبى هريرة ، الذى لم يفارق الرسول منذ بعثة خيبر فى سنة ٦٢٨ (٢) مطلقًا . وكما كان سعيد حجة فى جميع مسائل العقيدة والشريعة كان متفوقًا أيضاً وعلى معرفة تامة بتاريخ ظهور الإسلام وازدهاره . فقد أخذ عن أسماء بنت أبى بكر التى ساعدت — وهى ما تزال صبية — الرسول وأباها حينما هاجرا من مكة إلى المدينة . كما أنه وجد فى ابن عمر منبعا يستقى منه وملاذا يلجأ إليه ، وإن كان لم يبلغ شأوه — قطعاً — فى أخذ نفسه بصرامة الزهد فى صلاته وصومه وسائر الشعائر الدينية . كان مترفعا — مثل ابن عمر — عن كل شبهة قد تدينه بأنه يتعمد رواية غير الحقيقة .

كان يجلس معظم النهار وحده بالمسجد حينما يكون مغضوباً عليه سياسيا محرجا على الناس أن يلتفوا حوله ، فإذا ما رفع الحظر التفت حوله حلقة من التلاميذ المتعطشين للعلم من كل طبقة وسن يأخذون عنه علمه ويعملون على نشره بالاصقاع البعيدة . لم يكن ثمة تفكير بعد فى التدوين عنه أو تأليف الكتب ، إذ أن زهاد المسلمين وأتباعهم كانوا آنذاك يجفلون من الكتب ، لأنهم يتفقون وعمر فيما يذهب إليه من أنه يجب ألا يكون كتاب غير القرآن . وقد توفى سعيد سنة ٩٤ هـ بعد أن بلغ من العمر خمساً وسبعين سنة ، وبعد أن ذاع صيته وانتشر علمه فى كافة البقاع الاسلامية ، وخلف وراءه أسرته التى عاشت بالمدينة .

وخلف هذا الرجل رجل لا يشبهه فى كثير من صفاته ، وإن كان يعد قائد الجيل الثالث من الرواة ، وقد خلفه فى حمل تركته العلمية ونشرها وفى كافة ما انشغل به فى ميدان الرواية ، ونعنى به محمد بن مسلم الزهرى نسبة لقبيلة زهرة المكية التى ينتسب إليها ، كما كان يعرف أيضاً با بن شهاب . وأغلب الظن أنه ولد أيام معاوية حوالى سنة ٥٢ هـ (٦٧٤م) . ولما أدرك مبلغ الرجال لم يكن ثمة صحابى بالمدينة فبعضهم استشهد فى وقعة الحرة والبعض هرب عقب هذه الوقعة وتفرق فى بلدان شمال أفريقية . كان جده الأكبر قد حارب فى صفوف قريش محمدا فى بدر وأحد ،

(١) سنة ٦٤هـ . (عونى)

(٢) سنة ٧ هـ . (عونى)

تماماً مثلما فعل أجداد الأمويين الذين كانوا يحيطون آنذاك فى قصور الخلافة الأموية فى دمشق فى أوج عظمتها تحت حكم عبد الملك وهشام ويزيد . وقد عهد إليه أيام عبد الملك بوظيفة مؤدب الأمراء ، فدون لتلاميذه مجموعة من الأحاديث . عاش معظم حياته بالشام ، وإن كان مكث زماناً طويلا بالمدينة ومكة ، وفى المدينة استمتع طوال سنوات ثمان بعلم سعيد بن المسيب .

والحق أننا حينما نتحدث عن الزهرى إنما ننتقل إلى الطبقة التى احترفت عن وعى الاشتغال بالبحث التاريخى . فقد جمع الأخبار من كل مكان ومن كل شخص كبيراً كان أم صغيراً رجلا كان أم امرأة ، جمعها حتى من قبائل الأنصار القليلة ووعاها فى ذهنه ، وإن كان قد ثبتها فى نفس الوقت أو ثبت معظمها بالتدوين والكتابة . وكان يدّعى أنه ضد تدوين الحديث ، وأنه لم يدونه إلا مكرهاً ليقوم بتعليم الأمراء الذين عهد بهم إليه ، ولكن التدوين قد لعب فى حياته العلمية دوراً هاماً ، وإن كان هذا لاينفى أنه كان يحفظ قدراً عظيما من الأحداث عن ظهر قلب ، وأنه كان يدهش معاصريه حين يحاضرهم بكثرة محفوظه .

وهو يستحق التقدير بصفة خاصة لما عرف عنه من مصادر شى من أنه قد دوّن كتاباً عن أنساب قومه أى بنى زهرة القرشيين ، وربما استطاع بذلك أن يدلل على أن عشيرته فى الأزمنة المبكرة كان لها صلة قرابة بالأمويين . ولعل تلاميذه الأمويين كانوا يسرون حينما يقرأون فى هذا الكتاب أن أجداده حاربوا يوم بدر وأحد ــ بجوار بنى أمية ــ محمداً (صلى الله عليه وسلم). ولكن الزهرى لم يستطع مع ذلك أن ينكر ــ إحقاقا للحق ــ أن أباه كان ينتمى لحزب الخليفة المناوئ لبنى أمية فى مكة عبد الله بن الزبير . وقد توفى عام ١٢٤ هـ فى ضيعته على الحدود بين فلسطين والحجاز عن ٧٢ عاما :

بعد أن تحدثنا عن عمد الحديث الثلاثة الأول : عبد الله بن عمر ، وسعيد بن المسيب ، والزهرى بالمدينة والشام ، ووصلنا إلى المرحلة التى دوّن فيها الحديث على نطاق واسع ، ننتقل الآن إلى المشرق الإسلامى حيث نجد الكوفة غربى العراق التى كانت تعدّ مركزا منافسا للمدينة فى رواية الحديث ، ومركزا هاما لتدوينه .

ولا يصح أن نغفل هنا الحديث عن مكة وكيف ولماذا تخلفت فى رواية الحديث عن المدينة فى حين أن الإسلام نشأ فيها وعاش فيها فترة معاناته ونضاله فى سبيل الظهور ؛ فقد كان فى وسع محمد ــ صلى الله عليه

وسلم — بعد فتح مكة عام ٦٣٠م (١) أن ينقل إليها مقره ولكنه لم يفعل ، بل إنه فضلاً عن ذلك كان يكره لمن هاجر من مكة أن يرجع للاقامة فيها . ولما اشتد المرض على صديقه الشجاع سعد بن أبي وقاص بعد فتح مكة خشي محمد أن يموت فيها ، وابتهل إلى الله في صلاته قائلاً (٢) : «اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم» . ولكن مهاجرا آخر وهو سعد بن خولة مات بمكة فرثى له محمد . وقد أمر محمد بألا يبقى من هاجر من مكة بها أكثر من انقضاء مناسك الحج (٣) وهي ثلاثة أيام يقيمها بعد الصدر . فإذا ما كان على مؤسسي الاسلام أن يبقوا مع عائلاتهم بالمدينة وأن يقيموا فيها على الدوام ، أمكن أن يجد الإنسان هناك فقط أقدم وأصدق وأصح التعاليم عن الإسلام أول نشأته . هذا وقد كان لكراهة محمد ومن معه البقاء بمكة أكبر الأثر ولا شك في انصراف الكثيرين عنها بالرغم من أنها مركز لاقامة شعائر الحج .

وتعد الكوفة بمثابة روما ثانية بعد المدينة بالنسبة للدولة الجديدة ، حيث حمل لواء الإسلام بها صحابي مخلص ومولى وحاجب أمين لمحمد (٤) ، ونعني به عبد الله بن مسعود ، العالم الصادق الورع الذي كان يعد أبا الاسلام بها ، والذي كان محبباً إلى قلب أبي بكر وعمر . وقد ولد ابن مسعود لأبوين فقيرين لا ينتسبان لقريش وإن كانا من حلفاء قبيلة زهرة ، وقد اشتغل وهو صبي برعي الغنم للآخرين فعرف محمداً في حداثته فحمل عنه جميع أحاديثه في حافظته القوية . وكان أول من صلى في مكة علانية طبقا — أمره به معلمه وطبقا لتعاليمه ، كما كان أول من أفشى القرآن بها من في (٥) الرسول . كان مشغولاً به دائما ، وظل صاحب سواده حتى توفي الرسول ، يصحبه في حله وترحاله ، ويعنى بثيابه ونعليه وما إلى ذلك ، فإذا ما دخل محمد منزلاً ، دخل معه ابن مسعود في حين يبقى الآخرون بالخارج احتراماً له ، حتى ليمكننا القول إنه من رجل — حتى ولو كان أبا بكر أو عليا أو عمر ، عرف الرسول مثلما عرفه ابن مسعود .

كان ابن مسعود يشبه بالنبي (٦) في هديه ودله وسمته ، وإن كان قصيرا نحيفا يضحك منه من يراه لحموشة ساقيه ، وكان من أكثر

---

(١) أي عام ٨ هـ . (عوني)

(٢) انظر البخاري ط. كريل Krehl جـ٣ ص٦٢ س٢

(٣) ابن سعد جـ٢ ق١ ص٢٩٧ س٢١ .

(٤) انظر ما جاء عنه بالطبقات أيضا جـ١ ق٢ ص١٧٩ بالفصل « ذكر خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواليه » . (عوني)

(٥) انظر الطبقات جـ٢ ق٤ ص١٠٧ س. . (عوني)

(٦) اقرأ ترجمة ابن مسعود بالطبقات . (عوني)

الناس صلاة وصوماً ، وإن كان يفضل الصلاة على الصوم ، وكان طوال حياته يشعر بالخشية من حساب الآخرة خشية عمر له . نزح بعد موت محمد إلى الشام ليرزق الشهادة وهو يحارب فى صفوف الله ، ولكن عمر أمره بأن ينتقل من حمص إلى الكوفة ، وكتب وكتب إلى أهل الكوفة أنه ينبغى عليهم أن يأخذوا عنه الإسلام وأن يتخذوه قدوة . وبقى ابن مسعود هناك سنين طويلة حتى لقد عاش السنوات الأولى من خلافة عثمان هناك ، فهو حوارىّ العراق ومن ثَمّ حوارىّ الشرق أجمع . وهو وإن كان — فيما يروى — لايشفى غليل سامعيه فى مسجد الكوفة ولا يكثر من الحديث كما يشتهون ؛ فلعل السر فى ذلك أنه كان يخشى مسئولية رواية الحديث ، وأن الشك فى صحة روايته كان يعذبه ويجعله لا يتأكد مما إذا كانت الرواية التى يرويها تطابق الحقيقة تماما أم لا ، فيضطرب ويعلوه الكرب ويتحدر العرق عن جبهته ويرعد جسمه جميعًا . كانت مناصرة عبد الله بن مسعود لعثمان فى فتنته واشتراكه معه فيها أمرًا مفهوماً . وقد توفى عبد الله بن مسعود سنة ٣٢هـ بالمدينة بعد عودته إليها عن ستين عاما أو تزيد . وقد كان الناس يثقون فيه ثقتهم فى أبى بكر وعمر من أنه لا يستطيع الكذب عن محمد مطلقاً(١) .

لابد أن يكون عدد المصلين خلف عبد الله ابن مسعود فى مسجد الكوفة كل يوم ، والمتجمعين حوله ليلتقطوا الألفاظ من شفتيه عقب الصلاة كثيرًا جدًا ، حتى يمكن لعلمه أن ينتشر فى كافة أنحاء العراق وسائر مدن الشرق . ولكنه لم يتأت لأحد منهم أن يكون منه فى تلك المنزلة التى كانت لسعيد بن المسيّب من ابن عمر فى الغرب . إلا أنه يخيل إلىّ أن ثمة عراقيًا فاضلًا خلف ابن مسعود فى الرواية بالعراق وإن لم يلقه أو يسمع منه ، بل جمع رواياته عمن سمع منه ، ونعنى به عامر بن شراحيل ، الذى ينسب عادة إلى قبيلته فيقال عنه الشعبى .

■ ولد بالكوفة لأسرة من حمير أيام عثمان عام ٢٨ هـ (٦٥٠م) تقريباً ، وعاش الشطر الأكبر من حياته بالكوفة ، كما أقام زمناً بالمدينة ودمشق . عمل كاتباً لدى عامل الكوفة من قبل الخليفة المكّى عبد الله بن الزبير ، ثم أرسله الخليفة عبد الملك بن مروان رسولًا له إلى بيزنطة فيما يقال . ولم يستطع البعد عن السياسة حتى وهو فى موطنه

---

(١) اقرا ترجمة ابن مسعود بالطبقات . (عونى)

بالكوفة ، وإن كان ذلك لم يجلب له إلا الضرر ؛ فعندما ثار ابن الأشعث – الذى كان يفاخر بانتسابه إلى إحدى أخوات أبى بكر – على عامل الأمويين بالكوفة ، ضم إليه الشعبى وجميع رواة الحديث القدامى وحفظة القرآن والنساك . ولما هزموا فى وقعة دير الجماجم عام ٨٣ هـ (٧٠٢م) هرب الشعبى ، ولكنه أعيد مقبوضاً عليه من فارس إلى واسط، مقر حكم الحجاج فى العراق حيث عفا عنه ، ومن ثم عاش بقية عمره بالكوفة حيث التف حوله العديد من التلاميذ الذين أخذوا عنه . وتوفى عام ١٠٥ هـ بعد أن عمّر طويلا[١] .

ويبدو أن الشعبى كان يعتمد على حافظته فى رواية الحديث وأنه لم يقم بتدوينه ، فقد نسب إليه أنه قال : «ما خططت قط، حتى يوى هذا أسود على أبيض» . وقد استمرت تقاليد نقل الحديث بالحفظ والرواية بالعراق مدة أطول كثيرا منها بالمدينة وأول كاتب ظهر فى الشرق كان من الجيل الذى يلى جيل الشعبى ، وهو العالم الكوفى محمد بن السائب الكلبى الذى عرف بكتبه عن الأنساب ومعرفة قبائل العرب فى الجزيرة وتفسير القرآن .

(١) بجوار الشعبى نجد بالكوفة ايضا محدثين آخرين من ذوى المكانة العلمية هما : ابو مجاز ت ١٠٠ أو ١٠٩ هـ وابو اسحق السبيعى ت ١٢٧ او ١٢٨ هـ .

كان هؤلاء الرجال الخمسة الذين ذكرناهم هم العمد الرئيسية فى الشرق والغرب الإسلامى آنذاك للرواية الإسلامية الأولى فى القرن الأول للهجرة وبعده بسنوات قلائل . وهم تمثلون هذه الفترة التى اعتنقت فكرة رواية الحديث شفاها ولم ترض بالتدوين ، إلا أن أصغرهم ، وهو الزهرى ، كان يمثل مرحلة الانتقال إلى جيل آخر يؤثر التدوين . وكان إلى جوار هؤلاء الرجال الخمسة آخرون كثيرون اشتغلوا بالرواية ، وقدموا لخلفهم من العلم ما جعلهم يجتهدون فى تقييمه ونقده ، فعملوا على ترجمة حياة كل منهم باحثين عن علاقاته وأحوال معيشته والأماكن التى أقام فيها ونقل منها رواياته ، كل ذلك فى نشاط النحل واجتهاده . فقدموا بين يدى النقد التاريخى عملا قيما لا أعرف له مثيلا فى آداب العصور الأولى أو العصور الوسطى .

وفى النصف الثانى من القرن الأول للهجرة نجد طلائع التأليف فى الأدب التاريخى ؛ فألفوا كتب المغازى كما يسمونها ، كما ألفوا فى سيرة محمد (ص) . ويتنازع الفضل فى تأليف أوائل هذه الأعمال اثنان من أبناء الأمراء هما : أبان ابن الخليفة عثمان ، وعروة ابن الزبير ؛ وكلاهما كريم المحتد . فقد كان عثمان زوجاً لبنتين من بنات الرسول ، واحدة أثر أخرى ، فى حين كان الزبير ابن عمة

الرسول ، وقد احتفظت كتب السير لأمه صفية عمة الرسول بصورتها وهى تنطلق شاردة يوم أحد تسأل ابنى أخويها محمد وعلى وابنها الزبير باحثة عن جثة أخيها حمزة .

توفى عروة سنة ٩٤ هـ وأعقبه أبان سنة ١٠٥ هـ أو سنة ١٠١ هـ فى أثناء حكم الخليفة يزيد بن عبد الملك . والظاهر أن أبان كان أكبر الرجلين ، إذ أنه لم يسمح لعروة بالاشتراك فى موقعة الجمل سنة ٦٥٦م (١) لصغر سنه فى حين سمح لأبان بالاشتراك فيها وعندما انتهت الموقعة على غير ما يتوقع كان أبان من أول الهاربين ، ومن ثم اختفى اسمه من مجريات الأحداث السياسية فلم يظهر ثانية ، ويبدو أنه عاش حياته فى هدوء بالمدينة حيث استعمله الأمويون والياً عليهم سنوات طويلة . وقد روى عنه ما ألفه عن المغازى — ويطلق عليه اسم كتاب «المغازى» — المغيرة بن عبد الرحمن (٢) .

ولد عروة بن الزبير على الأرجح سنة ٢٣هـ وقد استطاع بحكم علاقاته الأسرية أن يعرف كثيراً عن حياة الرسول الخاصة من أقرب أقربائه وأصدقائه ، وقد انضم والده الزبير من أول الأمر إلى ابن خاله محمد الذى كان يحتفى به ويتخذه حوارياً له . وأم عروة هى الشريفة أسماء كبرى بنات أبى بكر ، وأخوه الذى يكبره بثلاثين عاماً تقريباً عبد الله خليفة مكة بلغ من العلم بالاسلام والعقيدة الدينية ما بلغه عبد الله بن عمر . ولقد نعم الأخوان كلاهما بالأخذ عن زوج محمد وأرملته بعد ذلك عائشة ، بل إن تلميذها عروة كان يحب أيضاً أن يفاخر مثلها بالاستشهاد بالشعر ، الأمر الذى جعله يلعب دوراً هاماً جداً فى أقدم الروايات مما حفظ له مكانته الرفيعة لدى المؤرخين المتأخرين .

ولعل أعظم ما يشيدون به قوة أعصابه التى جعلته يتحمل بتر قدمه فى دمشق دون أن ينبس ببنت شفة . إذ أنه فيما يبدو كان يعانى من الأكلة (٣) ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يسكتوا عن تقلبه السياسى ؛ فقد ظل إلى جوار أخيه عبد الله عندما كان حاكم مكة القوى ، فلما وضع المحاربون الأمويون ، بقيادة الحجاج الصارم ، نهاية دموية لدولته ولحياته ، أسرع عروة بامتطاء أسرع إبله وغذ السير من مكة إلى دمشق ليكون أول من يبشر الخليفة عبد الملك بنصرة جنوده وهزيمة أخيه وموته فينال

(١) سنة ٣٦ هـ . (عونى)

(٢) ابن سعد جـ ٥ ص ١٥٦ س ٤ تحقيق ستوستين؛ طبقات الحفاظ لابن اسحاق ص ٧٩ س ١٢ ، ١٣ تحقيق فيشر .

(٣) لعلها الغرغرينة . (عونى)

بذلك منه العفو وغيره ؛ ومن ثم فلم يكن له في تاريخ السياسة بعد ذلك أي دور هام .

وانتقل إلى المدينة حيث عاش حياة هادئة مشتغلا بالبحث والعلم ، ومنها انتشرت آراؤه وأحكامه . كان في حوزته كثير من الكتب في مختلف الموضوعات ، وإن يكن معظمها في الفقه ، وأعتقد أنها كانت مجموعات من الأحاديث ، كل منها يتعلق بمادة معينة من مواد الفقه الإسلامي ؛ ومن هنا اشتهر بأنه عالم عظيم بأحكام الفقه . ولقد توفي عروة بضيعته بالقرب من المدينة عام ٩٤ هـ . ولم يصل إلينا – فيما أعلم – أية رواية عما يحتويه كتاب المغازي الذي ألفه . وأغلب الظن أن هذا الكتاب قد فقد في زمن مبكر جداً ، ولذلك لا يمكننا الحكم حتى الآن على مدى إعادة المتأخرين لصياغة نصوصه .

وقد ألف الكاتب الذي يليه أيضاً كتاباً عن المغازي . ولا ندري إن كان الباعث على تأليفه ما ألفه عروة أو أنه اعتمد عليه في ذلك أم لا . ولم يكن مثل عروة ينتمي إلى المجتمع الراقي آنذاك ، بل كان – كما يمكننا أن نستنتج من اسمه شرحبيل بن سعد – من عتقاء قبيلة بني خطمة الأنصارية ، وموطنها أصلا جنوب الجزيرة .

عاش شرحبيل في المدينة وعمر طويلا حتى اختلط، واحتاج حاجة شديدة وكان النقاد المتأخرون يتركون روايته حيناً ويتداولونه حيناً آخر . فقد كان مثلاً يصدر فتاوى شرعية ، وكان أعرف الناس بسيرة محمد وبخاصة المغازي وأسماء المسلمين الذين اشتركوا في غزوة بدر ؛ ولكن عندما سئل ابن إسحاق صاحب السيرة المشهورة : ماذا يظن في رواية شرحبيل ؟ أجاب في احتقار : «أثمة من روى عن شرحبيل ؟» الأمر الذي جعل أحد النقاد المتأخرين يقول معلقا : «وهذا رأي غريب من فم رجل روى عن اليهود والنصارى[1] . في حين أنه لا يعرف عن شرحبيل شيئا»[2] .

ومن المؤكد أن شرحبيل كانت لديه مصادر ممتازة لاستقاء المعلومات لم يأل جهداً في الاستفادة منها في كتابه ، إلا أن كتابه هذا فقد أيضاً في زمن مبكر جداً مثل كتاب سلفه ذي النسب الشريف عروة بن الزبير . وإنا لنطمع في أن تؤدي الأبحاث المستقبلة إلى تبيان مدى العلاقة بين الرجلين ، وهل كان عروة يروي عن الطبقة الارستقراطية فحسب في حين كان شرحبيل يروي عن عامة الشعب والعتقاء والعبيد والنساء . وقد توفي شرحبيل عام ١٢٣ هـ .

ويجيء بعد شرحبيل الزهري – وقد تحدثنا عنه آنفا – الذي توفي بعده بعام واحد ،

(١) وهذه تهمة خطيرة في رأيه ولاشك .

(٢) الذهبي : شبرنجر رقم ٢٧١ لوحـة رقم ١/٢٣٣ س١ (ساخاو) .

والذى ألف كتاباً عن نسب قبيلته . وعلم الأنساب لم ينشأ أساساً إلا لخدمة العصبية القبلية والشخصية ، وكان ذا أثر عظيم فى الفترة الأولى للدراسات التاريخية عند العرب ، ولذلك نجد لكتاب الزهرى هذا أثرا بعيدًا على المؤلفين اللذين جاء بعده .

ومما يبعث على الاهتمام حقاً كتاب موسى ابن عقبة الذى كان له أعظم الأثر على جميع الروايات التاريخية التى جاءت بعده . وهو وإن كان قد فقد مثل سائر الأعمال التى سبقته فلم يصلنا إلا بعض مقتطفات منه ، إلا أننا يمكننا أن نجمع الجزء الأكبر منه من النصوص التى نقلها عنه المؤلفون الذين جاءوا بعده . وكتابه — مثل كتب أبان وعروة وشرحبيل — كتاب مغازى . كان موسى مولى للزبيريين وبصفة خاصة لزوجة الزبير أم خالد بنت خالد من قبيلة بنى أسد . والى جوار موسى نجد أخويه إبراهيم ومحمد اللذين عنيا أيضاً بمدارسة العلم . وكذلك فإن ابن أخيه إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة هو الذى روى كتابه عنه . قضى موسى حياته بالمدينة يفتى الناس ، ويعقد حلقات العلم بالمسجد عقب الصلاة كل يوم للمتعطشين إلى العلم من كل البلاد حتى توفى سنة ١٤١ هـ .

وكان أئمة الاسلام المتأخرون : مالك بن أنس والشافعى وأحمد بن حنبل ، يعدون كتابه أهم الكتب جميعًا وأصحها ، فى حين كانوا لا يحفلون كثيرًا بكتاب ابن إسحاق والواقدى المعروفين . ولن نستطيع معرفة السبب فى حكمهم هذا ما لم تخرج نسخة كاملة من كتابه إلى النور أو يجمع ما نقله عنه من جاء بعده من المؤلفين . كان الزهرى سنده الأول ، وكذلك كان نافع مولى ابن عمر الذى توفى سنة ١١٧ هـ ، والذى كان يعتز بأن الخليفة عمر بن عبد العزيز بعثه به ليكون معلما للاسلام بمصر .

ويأتى بعده كاتب غير مدنى ، بل عراقى سكن الكوفة ، هو محمد بن السائب بن بشير الكلبى من قبيلة كلب التى كثر الخلاف فيها . وقد روى المدائنى — وهو أسد معاصرى ابن سعد — أن جده جُلب مع السبايا من نجران إلى المدينة حيث أعتق على يدى أسامة ابن زيد ربيب محمد المقرّب إليه(١) .

كان العراقيون يتشيعون لعلى (كما هو الحال الآن أيضا) ، ومن ثم مالوا إلى ابن عمته ابن الزبير بعد مقتله والى كل قائد آخر يرفع راية العصيان فى وجه الأمويين بعد مقتل ابن الزبير وينهض لمحاربتهم ، فيلتفون حوله ويحاربون معه حتى يسقط قتيلًا . وقد حارب جد مولفنا محمد هو وابنه

(١) مخطوطة بالمتحف البريطانى .
Catalogus Codicum orientalium, pars 11, Or. 101g Bl. 23a p. 730 nr. MOCXX

السائب وولدان آخران له فى صفوف على يوم الجمل سنة ٦٥٦م ويوم صفّين سنة ٦٥٧م ثم حارب أبوه السائب مع الزبيريين تحت قيادة مُصعب بن الزبير حتى سقط . ولما رفع عبد الرحمن بن الأشعث ــ وقد كان أصلا قائد جيش للحجاج عامل الأمويين ــ راية العصيان فى وجه الأمويين لم يشترك مؤلفنا ــ الذى كان بعد حدثاً ــ فى المعركة الدامية التى دارت بينهما عام ٨٣ هـ .

ولكنه شهد فى كهولته سقوط دولة بنى أمية وهو الحدث الذى نطلع إليه كثيرا وتوفى سنة ١٤٦ هـ بعد إحدى عشرة سنة من نشأة دولة العباسيين .

وعلى كل فيبدو أنه عاش حياة علمية هادئة فى الكوفة شغل نفسه فيها بدراسة الأنساب وتاريخ الشعوب العربية وتفسير القرآن . بل إنه يُعدّ من أوائل من ألف بالعربية ، فهو مولف أول تفسير للقرآن كما أن كتابه عن الأنساب ، بما أضاف إليه من مواد تاريخية ومسائل دينية ، أصبح مرجعا لكل من جاء بعده (١) . وإنما يرجع إليه الفضل فى إنقاذ ما أمكن إنقاذه من معلومات عن عبادة الأصنام وغيرها فى الجاهلية ، وعنه أخذ كل المؤلفين دون أية إضافة أو زيادة : والمعروف أنه جاء فى أنسابه بروايات كثيرة لم يستقها من المصادر العربية ، ولكننا لا نستطيع فى هذا الصدد أن نبحث عما إذا كان قد استقى هذه الروايات من مصادر يهودية أو مسيحية أم أنه استقى من أصول عربية خلفها له علماء العرب قبله ، فقد كان علم الأنساب من العلوم التى اهتم بها العرب فى كل عصر وزمان ؛ فنجد أن أبا بكر وجبير بن مطعم عنيا بذلك أيام الرسول ، بل لم يخل الأمر أيضاً من وجود علماء يهود أو مسيحيين حول محمد (من أمثال عبد الله بن سلام) ، وكان لهم فضل خلط الروايات العربية بروايات الكتاب المقدس .

ولم يكن منهجه فى التفسير القرآنى أقل أهمية من منهجه فى علم الأنساب . فقد لعب الخلاف على فهم آيات القرآن وارتباطها ببعض دوراً هاما فى صدر الإسلام فى إدراك علاقات طوائف المسلمين ببعض وعلاقاتهم بمعتنقى سائر الأديان ، حتى إنه كان من مهمة هذا العصر أن يجمع كل ما ذكر فى هذا الصدد من روايات وعلوم آنذاك : وقد جمع ابن الكلبى بنفسه روايات أهل الكوفة التى تمثل القبائل العربية فى الشام والعراق حتى المحيط الهندى ، كما كانت تمثل أيضاً الطوائف الاسلامية الغربية من

---

(١) انظر E. H. Becker فى مقاله عن « مخطوطات ابن السائب فى الاسكوريال » مجلة المستشرق الالمانى ZDMG



دار التحرير للطبع والنشر



الثمن ٦ قروش - ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش